السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس ٢٨ آذار ٢٠١٣ ـ الموافق ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ ـ العدد ١٢٤٤١

AS-SAFIR Arabic political daily – March 28, 2013 N° 12441

1 | 17

محمد بنعزيز: عن قوة الأولياء في المغرب، كمثقفين عضويين! وعن وظيفة المزارات، وكيف أن قناعات الناس أهم من كل وقائع. ومحمد فضيلات يروي عن اختفاء نهر عَمّان. 2

الجزائر: عودة نفوذ فرنسا، وفضائح فساد مستشر، وتحركات العاطلين عن العمل في بلد نفطي يُقرض صندوق النقد الدولي... وغيبوبة السلطة. نصين للأخضر بن شيبة وعمر بن درة. 3

الكويت: حلقة مفرغة يتعاقب فيها حل مجالس الامة، بينما تشتري السلطة ديون المواطنين بمليارات كثيرة، نافية أن يكون في ذلك نية رشوتهم. وتحايا لذكرى «يوم الارض» الفلسطيني. 4

دور دول الخليج في المنطقة وفي العولمة

شكل الانسحاب الأميركي من العراق منعطفاً تاريخياً لدور دول الخليج على الصعيدين الإقليمي والعالمي. فبعد ان كانت تمثل حجر الزاوية في السياسة الاقتصادية والدفاعية للدول الكبرى البعيدة جغرافياً، دون ان تكون فاعلة في المعادلة الإقليمية، انقلبت الآية، فأصبحت دول الخليج لاعباً اقليمياً أساسياً، وأيضا بالنسبة للدول الأوروبية، «المتوسطية» منها خاصة، على حساب أهميتها على الرقعة العالمية. هذا التغيير في الأدوار هو نتيجة التغيير في الإستراتيجية الأميركية والتعديل في ميزان القوى على الصعيد العالمي، اللذان فرضتهما العولمة والأزمات الاقتصادية المتتالية.

دول الخليج والعولمة

تلعب دول الخليج دوراً كبيراً في المنظومة الاقتصادية العالمية، إذ لديها ثلاث وظائف أساسية، تطورت وتحولت بالتناسق مع تحولات المنظومة نفسها منذ حرب فيتنام وحرب أكتوبر ١٩٧٣. وهي تتلخص بـ:

١ ـ تأمين الطاقة بكميةٍ وسعر لا يكونان عائقاً للنمو في الدول الغربية. لذلك، فباستثناء سنتي ١٩٧٣ و٢٠٠٧، لم يرتفع سعر النفط أكثر من نسب التضخم، بالرغم من كل ما ذُكر عن نضوب المخزون النفطي، وعدم زيادة الإنتاج في السنوات الأخيرة. فسعر النفط ارتفع ٢٢٠ في المئة بين ١٩٨٠ و٢٠١٣ بينما كان حجم التضخم في الولايات المتحدة ٢٤٠ في المئة للفترة نفسها. وبتعبير أبسط، يعني هذا أن سعر النفط الآن بالدولارات الثابتة أقل بقليل من سعره سنة ١٩٨٠. يتضح بشكل جلي حجم مراعاة الدول النفطية للغرب في العقود الثلاثة الماضية، إذا أضفنا إلى ذلك مؤشرين: أ ـ انخفاض سعر الدولار ٢٥ في المئة بالنسبة لسلة من العملات، ب – ارتفاع حجم الدولارات الموجودة خمسة أضعاف، بينما لم يزد الإنتاج النفطي إلا بنسبة ٣٥ في المئة خلال الفترة نفسها.

٢ ـ إعادة تدوير الفائض من الدولارات الموجودة لدى دول الخليج، باتجاه الدول الغربية بشكل أساسي. فالدول الخليجية ممول أساسي للدَين العام في الدول الغربية، ومستثمر كبير في القطاع الخاص. هذا الدور ليس بالجديد حتى ان عراق صدام حسين استثمر الكثير من الأموال النفطية في فرنسا، في الشركات نفسها التي يستثمر فيها الآن أمير قطر، كشركتي Lagardère و.Total إلا ان ذلك الاستثمار تعاظم في الآونة الأخيرة مع ارتفاع الفائض المالي في قطر، بشكل موازٍ لارتفاع الديون ووتيرة الأزمات في الدول الغربية. تشير معلومات تقريبية انّ حجم الاستثمارات القطرية في الخارج وصل إلى اكثر من ٢٠٠ مليار دولار، موزعة بشكل أساسي على فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة. وهي محصورة في قطاعات الخدمات والفنادق والشركات المصنِّعة للبضائع الكمالية والفخمة.

٣ ـ إقامة «صندوق أسود» وظيفته تمويل مشاريع سياسية بعيدة: أميركية إجمالاً، لا تستطيع الإدارة أن تتبناها علناً، كالحركات السياسية في أفغانستان وباكستان، أو اقليمية مباشرة كحرب صدام حسين على إيران. تطورت هذه الوظائف وتأقلمت مع مختلف الإدارات الأميركية. وباستثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ («خطيئة» الملك فيصل المميتة!)، لم تكن لتخرج عن دائرة مصالح الولايات المتحدة الأميركية خاصة، وتلك الغربية إجمالاً.

دور دول الخليج الإقليمي

لا يتميز دور دول الخليج الإقليمي عن دورها العالمي: مصدِّرة للنفط، ومستثمرة رسمياً أو عبر الصندوق الأسود، بالإضافة إلى دورها في امتصاص قسم من اليد العاملة العربية (قسم من الـ١٤ مليون أجنبي العاملين فيها). وإذا كانت أدوار التشغيل وتصدير النفط لم تتطورا كثيراً، فإن إعادة استثمار الفائض، بصورة علنية أو غير علنية، تطور في الآونة الأخيرة. فتحولت دول الخليج من مستثمر في العقارات في لبنان وسوريا وسيناء والمغرب بشكل أساسي، إلى مستثمر في القطاع المصرفي والسياحي (الوليد بن طلال)، ومن ثمَّ إلى «معوِّم» للسلطات والحكومات الموالية أو الحليفة قبل «الربيع العربي» (مصر مبارك، لبنان، الأردن، المغرب). أما دورها الجديد، فنستطيع أن نرى بداياته مع لبنان في لقاءات «باريس واحد»، ثم اثنين وثلاثة. فالخليج الآن أصبح شريكاً لصندوق النقد الدولي وإملاءاته على حكومات تلك الدول، مما أعطاه نفوذاً فيها أكبر من السابق.

فأغلب الحكومات العربية لم تعد تستطيع «ابتزاز» دول الخليج، كما فعل سابقاً عبد الناصر وكذلك العراق وسوريا. لأنها خاضعة من الآن فصاعداً إلى شروط «الصندوق الدولي» وخاصة ان الخليج هو الوحيد القادر على سد عجز الميزانيات في تلك الدول. يكفي لإعطاء فكرة عن «قوة النار الاقتصادية» المتعاظمة لدول الخليج ان نذكر بضعة أرقام ووقائع:

١ ـ فائض قطر المالي السنوي يستطيع سد عجز كل ميزانيات الدول العربية تقريباً.

٢ ـ تستطيع قطر لوحدها ان تدفع سنوياً ضعفي معاشات كل اليد العاملة السورية (حوالي ٦ ملايين).

٣ ـ ان مردود أموال قطر والسعودية (رأس المال المالي) لوحدهما، وبغض النظر عن مداخيل النفط والغاز، هو ثلاثة أضعاف ميزانية الدولة السورية.

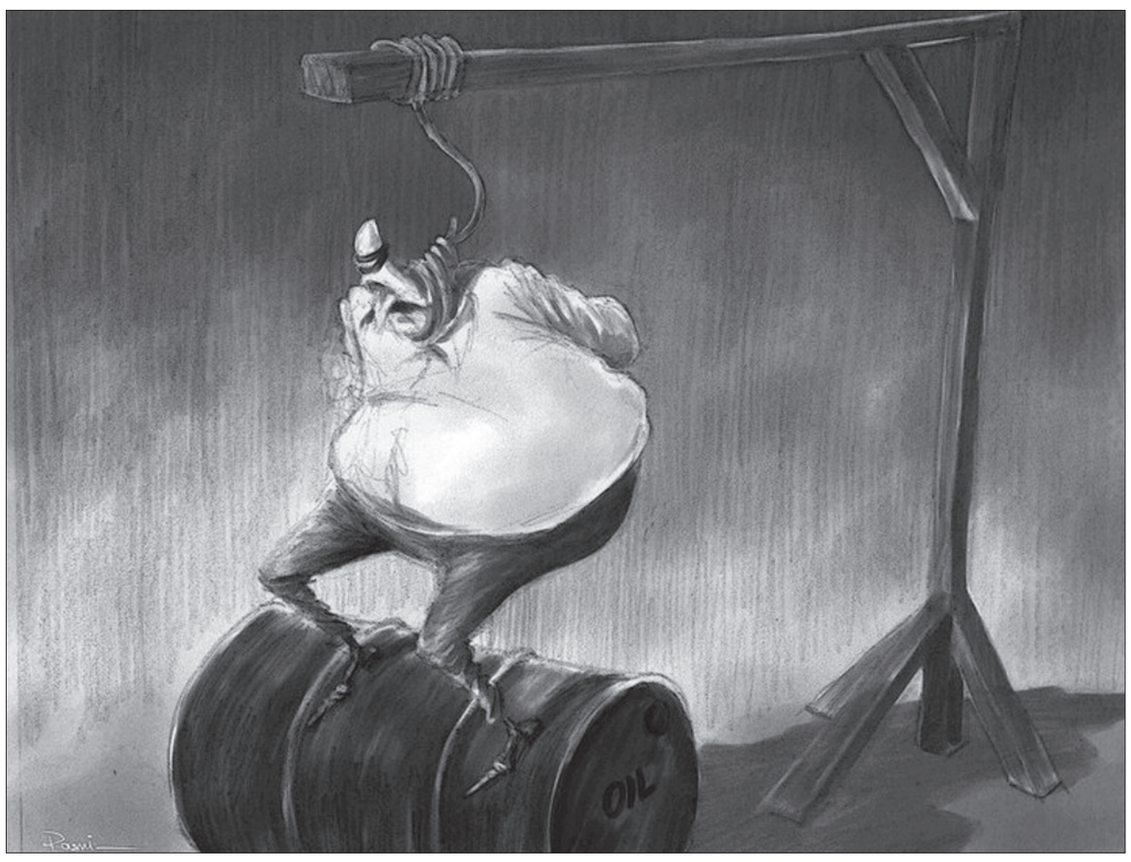

أمجد رسمي

أصبح تمويل دول الخليج للحركات المحلية بديلا عن ذلك التدخل الدولي/الاميركي، مما أعطى أمراء الخليج نفوذا لا سابق له، بالأخص في ظل الوضع الاقتصادي العالمي المأزوم.

لدى قطر والسعودية «قوة نار اقتصادية» جعلتها شريكاً لصندوق النقد. وأغلب الحكومات العربية لم تعد تستطيع «ابتزاز» دول الخليج، كما فعل سابقاً عبد الناصر وكذلك العراق وسوريا.

التحولات المستقبلية

ان تعاظم دور دول الخليج في المنطقة، وبالتحديد الدور القطري على حساب السعودي، هو نتيجة لسياسة أميركية واضحة تسلك في اتجاهين: تقويض إمكانيات إنتاج الطاقة في العراق، وذلك لصالح الدول النفطية الأخرى، وعدم وجود نية للتدخل العسكري الأميركي المباشر في العالم (حاليا)، وخاصة في الشرق الاوسط. هكذا أصبح تمويل دول الخليج للحركات المحلية بديلاً عن ذلك التدخل الدولي/الاميركي، مما أعطى الأمراء نفوذا لا سابق له، وبالأخص في ظل الوضع الاقتصادي العالمي المأزوم. بالرغم من ذلك، يعلم حكام الخليج أن قوتهم الجديدة المكتسبة اقليميا تُخفي الكثير من نقاط الضعف على المدى الإستراتيجي والمنظور. وقد تفسر نقاط الضعف تلك الشراسة التي تبديها قطر والسعودية لحسم الواقع السياسي في العالم العربي لصالحهما وبشكل سريع.

لأنه، وعلى المدى الطويل، فستبدأ وظائف دول الخليج بإبانة ضعفها نتيجة عدم عوامل أهمها:

ـ السياسة الأميركية الجديدة التي تركز على تخفيض العجز في ميزانيتها، والاعتماد على الطاقة المحلية الأميركية (الغاز).

ـ انخفاض الفائض المالي المتأتي من النفط في دول الخليج، باستثناء قطر والعراق، اذ وصل الإنتاج إلى حده الأقصى، وسيكون ذلك لفترة طويلة، بينما تزداد النفقات بسرعة، وخاصة الأمنية والدفاعية منها.

ـ انخفاض نسبة الفائض المالي الخليجي داخل الفائض العالمي الموجود بشكل أساسي حالياً في الصين وبعض دول شرق آسيا وروسيا.

هذا لا يعني ان دول الخليج واهنة، بل بالعكس، فهي في ذروة نفوذها، لذلك اعتمدت إستراتيجية قلب موازين القوى لصالحها في المنطقة، قبل ان يصبح الشرق الأوسط مشكلة جيواستراتيجية أوروبية/صينية وليس أميركية/روسية، وقبل ان تزداد أهمية العراق النفطية على حساب دول الخليج الأخرى، إذ يستطيع العراق، «لو سُمح له»، ان ينتج حجم الإنتاج السعودي نفسه، أي ١٠ ملايين برميل يومياً.

العقبات

تعترض هذه الإستراتيجية الخليجية مشاكل عدة على الأمد القصير، أهمها:

ـ سرعة انخفاض ميزانية الدفاع الأميركي التي قررت الأدارة الحالية تخفيضها من ٧ في المئة الى ٣ أو ٤ في المئة من الدخل القومي ،لإيقاف تزايد الدين الحكومي.

ـ السرعة التي تتفاقم فيها الأزمة الأوروبية والتركية.

ـ التفاوت الاقتصادي والفقر غير المسبوق داخل المنطقة العربية، وهشاشة الأنظمة العربية كلها، مع ما يحمله ذلك من خطورة إعادة طرح شعار «بترول العرب للعرب».

ـ السياسة الخليجية «الذكية»، وبالتحديد القطرية، التي تعتمد على تمويل الفقراء وبعض التنظيمات الدينية، لا يمكنها أن تثبِّت الأوضاع في الدول العربية إلا من خلال نموذج وهابي، وليس تركي، و بالتالي غير مرضٍ عنه غربيا.

خلاصة، يبدو أن حكام دول الخليج مقتنعون انهم يستطيعون تعبئة الفراغ الذي تركه جلاء القوات الأميركية عن العراق، وسقوط الأنظمة التي أفلت، وذلك من خلال تمويل الحركات الدينية، بالتعاون مع صندوق النقد الدولي من جهة، وتركيا من جهة أخرى. الا أن هذا يحمل مخاطر كثيرة، أكبرها أن المملكة والإمارة تأخذان دورا سياسيا بحجم دورهما الاقتصادي، أي أكبر بكثير من حجمهما الفعلي (الديموغرافي، العلمي، العسكري)، وثانيها أن تركيا بلد غير عربي وله مشاكله، وأجندته الخاصة. أليس هذا ما فعلوه مع صدام لتنقلب الآية عليهم بعد ذلك؟ ألهذا السبب حصلت المملكة منذ سنتين على أكبر عقد عسكري في التاريخ مع الولايات المتحدة، بقيمة ٦٥ مليار دولار؟ وهل يمكن حقاً أن ينتقل الثقل السياسي في المنطقة خارج العواصم الثلاثة الكبرى، أي القاهرة وبغداد ودمشق؟

شبل السبع

أستاذ الاقتصاد في جامعات أوروبية

صباحات بلون السماق

ينبغي أن أسامح «حسني البورظان» على تلك المتاهة الجغرافية والمعرفية، التي لم تكن حينها تناسب أعمارنا، «إذا أردنا أن نعرف ماذا في إيطاليا... يجب أن نعرف ماذا في البرازيل» التي ما انفك يستهل بها مقالاً لن ينتهي في ثلاثين حلقة من تلك السردية الدرامية، «صح النوم»، ولم ينته بعد انتهائها.

يجب أن أسامحه، ليس لأنني صاحب قلب طيب ما يزال منقوعاً في آنية الحليب الطفولي وخلاصات أعشابه، وأشعر كذلك بنوع من التوحد المصيري معه حيال حُفَر النذالة وأخاديد اللؤم التي كان يُرمى بها بلا أي رحمة، بل لأني بت أقع في متاهات أبسط بكثير، من مثل من يصل إلى الحرية قبلاً، الأرنب المغرور أم السلحفاة المثابرة، بعد أن يعبّد التاريخ القصصي الطريق للسلحفاة ليثبت أهمية العمل الدؤوب، وتحدي الكائنات الضعيفة المرتهنة لخصائص بيولوجية ليس عنها انفكاك إلا بالعمل الصبور الجسور.

لأكتشف أنه لم يصل أحدٌ منهما. أجلس وأنتظرهما بشوقٍ علي قارعة الطريق، أنقر حصاةً بحصاة وأدخن طويلاً «علّها تنجلي»، وأهرع بعد أيّ هسيس في العشب أو حفيفٍ في الشجر لأدقق النظر في أربعة أطراف المكان، وأنهض لأبحث عنهما من وقت لآخر في تعرجات الدرب الطويل الوعر متناسياً لبرهة الحرية، أصل السباق، لا لأنهما أصدقائي وقضيتهما قضيتي، وأنا من ورّطهما في المسابقة، بل لأكمل الحكاية لولديّ قبل النوم!

وينتهي الوقت، لأنه ما من سباقات بلا نهاية. ولكن هل ينتهي الوقت؟ نعم الوقت المخصص للمسابقة ينتهي، كما رطوبة قميص على منشر الغسيل، في يوم مشرقي مشمس. في ثكناتها وقصورها ونواديها وملاعب خيولها، ستجد خيوطاً معلقة أشبه بمقددات الباذنجان والبامياء اليابسة، إنها حياتنا المسروقة والمثقوبة بعناية، ليمر منها خيط الزمن الرفيع، والمتروكة بإهمال لتجف أو تتعفن، أو تُنسى.

* * *

أمل الكثيرون، وفق مزاج هندسي رائق، أن تكون الصراعات السياسية كالمباريات الرياضية. للفريقين هويتان مميزّتان، يشعر بهما كل المتابعين بقلق نتائج الواقعة: لون الملابس، حيازة قسم من جغرافية الصراع، التفاهم الانسجامي بين أعضاء الفريق الواحد، والسعي الدؤوب لتحقيق النجاح الجماعي، واستيعاب لأهمية المهارات الفردية وقدرتها وشجاعتها.

لكن في الصراعات السياسية تداخل كبير. في الطرفين متشابهات، قبل جلاء المشهد النهائي ووضوحه: يثقله ثوار حقيقيون مأخوذون بشفاعة الأمل التاريخي العظيم، ويرفدهم لصوص وشحاذون وقناصو فرص، يمينيون ويساريون، جمهوريون وملكيون وإماراتيون (نسبة للإمارة الإسلامية). قحبات وقوادون وراقصات وتجار شنطة، مثقفون يكتبون بدمائهم وآخرون ببول الطغاة ومن يقوم مقامهم، رجالات النظام المتسربلون في ثياب ثورية، عملاء لمخابرات السلطة ولمخابرات دولية وتجار أسلحة... يدلف هؤلاء جميعاً إلى المشهد الثوري العام، لا لاهتمام بالتغيير ودوافعه، أو لتثبيت ما هو قائم إلى الأبد، بل لأن البوابة في الثورات العمومية مفتوحة على مصراعيها.

برغم ذلك، يحلم الناس برجال سياسة على هيئة نجوم الكرة، يركضون نحوهم، بعد تحقيق هدف لتحيتهم وإرضائهم، والناس المتفاعلون وسواهم من الثابتين على كراسيهم خارج الملعب لن يبخلوا عليهم بالتصفيق والهتافات المشجعة الحارّة، ورميهم بالورود وإشعال السماء فوقهم بالنجوم والشهب، ومباركتهم بالموسيقى والغناء. لكن هؤلاء اللاعبون السياسيون لا يحققون أهدافاً على الإطلاق ولا يركضون لتحيتهم كذلك. يكتفون بالكلام الثقيل البليد المغلف باخضرار العفن ورائحته، الناتج بعمومه عن عدم جودة أطقم الأسنان التي يستعملونها بدلاً عن أسنانهم التالفة، ويأملون برطانة تلك الأحاديث المتواصلة، الحفاظ على ثبات موقعها فوق أفكاكهم أكثر من ثبات أقوالهم المتلجلجة، ترافقها سلسلة من أمراض الشرايين والشحوم الثلاثية، والتوترات المتشنجة لمرضى السكري، وبعض الأمراض النفسية الخاصة بالعبيد المزمنين، من الذين واللواتي يتسرعون بتسمية عملية استبدال مالك العبيد القديم بالمالك الجديد باسم: التحرر.

والهامشيون من الشعب المريض بالأيديولوجية التي تسوغ التحكم القدري بالتاريخ، لن يتأخروا عن طرح السؤال، واضعين أنفسهم خارجه في آن، على سبيل الرفعة الأخلاقية، والنأي عن الممارسات التي تحدث في كل الثورات الدنيوية، رغماً عن قناعة الثوار وإرادتهم، ويقظتهم التي تبقي عيونهم مفتوحة كالأسماك. لماذا تحرك هؤلاء؟ هناك من حرّكهم ،أليس كذلك؟ ترى من أقامهم ولم يقعدهم؟

إذاً، ليست كل الأسئلة الاستفسارية سوداء في الليل، كما هي بقرات هيغل، بل الطغمة العسكرية وشبيحتها وبعض معارضيها كذلك.

* * *

لا يهم في سياق سرد الوقائع، ضرورة التأكيد على ذاك التدقيق الفيزيائي، كأن نقول مثلاً: حملته ساقاه، أو حمل ساقيه. نحاول في حمأة الوقائع وكثرتها، تعقب النتيجة: هل وصل أم قتلوه في الطريق..؟ لم يصل بعد؟!

– ولن يصل إذاً، لأن المسافة بين هاتين المدينتين لا تحتاج شهراً من المشي المثابر لشاب في مقتبل العمر! لنفترض من أجل إيجاد نهاية للواقعة، أنه ضل الطريق، أو قتل فيه، أو أكلته الضواري..

– أما تزال الضواري على عادتها اللئيمة، تتربص بالأجساد الحية والميتة لتأكلها؟

– وتأكل بعضها كذلك، لكن ينبغي غسيل الكفين وذكر نعمة الله قبل الطعام وبعده.

* * *

فلننتظر ما يأتي به الصندوق!! ليس صندوق الفرجة، وهو صندوق الدنيا في رواية أخرى، أو الصندوق الأسود، أو الصندوق الذي ينفجر فور الشروع بفتحه، أو صندوق العرس. بل صندوق الاقتراع. المصير الشعبي مرتبط إذاً بالنتائج التي سيقدمها. نتائج جلية واضحة، أرقام مسبوكة، أساسها العميق عدد السكان الذين استدعوا بنداءات تلفزيونية تذكرهم أنهم يتمتعون بهذا الحق السياسي المركون منذ زمن قرب سلة النفايات، ووعظهم بضرورة التعبير عن خياراتهم، ومنعكسها الأولي رفع ممثليهم الى السلطة التشريعية، المنفصلة عن السلطتين الأخريين: التنفيذية والقضائية. والدستور هو من سيقوم بالفصل بينهما وتوضيح حدودهما وسماتهما. ليس هذا وقت السؤال عمن أدخل هذه الكذبة الأيديولوجية الحمقاء، وهذا التقسيم الهندسي في رؤوس الطليعة المخمورة، والصحافيين والرياضيين والموسيقيين.. نلمس في هذا التقسيم ضرورات قديمة، تعكس أهمية الحد من عدوانية السلطة التنفيذية وحربيتها، لينتج أن تقسيم السلطات في هذه الحالة تعبير عن ضرورة لجم التوسع في عدوانية السلطة التنفيذية، وهي بالمناسبة عادة استبدادية قديمة جداً، على سلطتين تحولتا بتأثيرها إلى سلطتين مكسورتين تابعتين، فائضتين عن حاجات الطغم العسكرية والاستبداد الآسيوي الذي سبقهم. في هذا الشرط الخاص، يمكن تفهم ضرورة الفصل، كتعبير عن ضرورة وقف الاجتياح وردعه ومراقبته. أما عن تحولها إلى مقولة عامة، أشبه بقاعدة قانونية...تتوخى فهم السلطة بعد تمديدها على طاولة التشريح، فقد يحتاج لملاحظات، بكون السلطة السياسية هي سلطة واحدة لا تحتمل القسمة على ثلاثة أو التجزئة، بها يبدأ حكم الطبقة المسيطرة وبها ينتهي، وما تلك السلطات المزعومة سوى وظائف فرعية لها. تستطيع السلطة الاستمرار بدونها. من هنا نفهم كيف تستطيع السلطات السياسية الاستبدادية اتخاذ قرار حل البرلمان أو تحويله إلى نمط مستحدث من مسرح العرائس، وإيقاف العمل بالدستور وهو دستورها الذي صاغته بروحية التعايش الأبدي بين الأغنام والذئاب. لكنها بالمقابل لا تستطيع الاستمرار ليوم واحد من دون سلطة تنفيذية يعلوها الجيش والمخابرات وجباة الضرائب وعطاءات المصرف المركزي.

عزيز تبسي

كاتب من سوريا

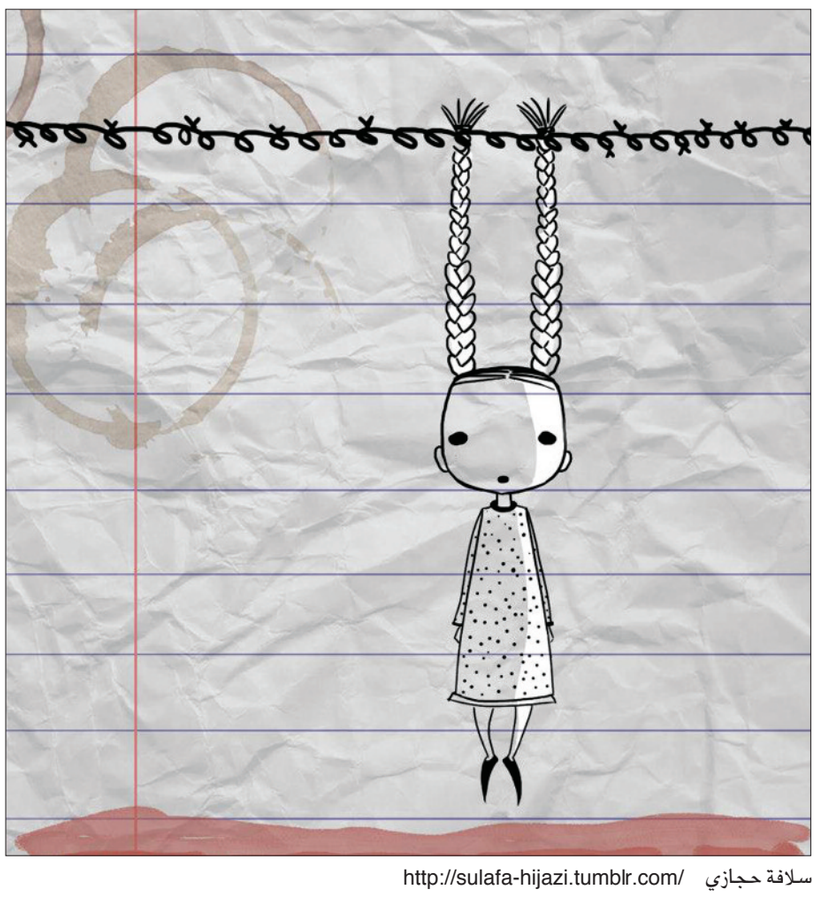

سلافة حجازي http://sulafa-hijazi.tumblr.com/

المنتدى الاجتماعي العالمي... في ديارنا!

إنه ينعقد للمرة الاولى في بلد عربي، في تونس، تحية للشعوب التي قامت بثورات تمكنت من التخلص من سلطات بوليسية مستبدة، عنيفة وعفِنة. وما زالت في أول الطريق لتعزيز المنجز... الذي لا يكتمل. منتدى «بورتو اليغري» (في البرازيل) بحسب التسمية المعتادة، غادر قاعدته تلك مرات عدة منذ انعقاده الاول هناك في ٢٠٠١. ذهب الى مومباي، في الهند، عام ٢٠٠٤، بعد أشهر قليلة من غزو العراق. ومومباي تطل على «بحر العرب»، كما تستحق شبه القارة الهندية استضافة المنتدى: هنا لا ينقطع النضال ضد العولمة النيوليبرالية ونتائجها الوحشية على الشعوب وعلى الطبيعة. هنا نقابة «الطريق الفلاحي» العالمية، تضم عدة ملايين من الاعضاء. هنا سار «المنبوذون» آلاف الاميال على الاقدام، ليصلوا من كل ارجاء الهند في مظاهرة واحدة الى المنتدى. هنا وُضع على منصة الافتتاح ممثلا فلسطين والعراق. بلا لبس... فبالنسبة للجنة الهندية المنظمة، والتي ضمت كل الاحزاب اليسارية وكل الجمعيات ايضاً، لا ينفصل النضال الاجتماعي عن السياسي، ولا تنفصل الحرب عن البيئة. الامبريالية والنيوليبرالية واحد، كما تقول الشرعة التأسيسية للمنتدى، الذي وُلد من رحم ارهاصات متعددة، أبرزها تلك المتبلورة في تظاهرات «سياتل» العملاقة في الولايات المتحدة عام ١٩٩٩، بمواجهة «منظمة التجارة العالمية» التي كانت منعقدة هناك لتهندس العالم على هواها، باعتبار أن «نهاية التاريخ» أُعلنت مع انهيار الاتحاد السوفياتي. ثم انعقد المنتدى في باماكو ونيروبي ودكار من افريقيا، وفي «بيليم» داخل الغابة الأمازونية.

ينعقد المنتدى في تونس هذه المرة. وهي فرصة لوضع المنطقة العربية على خارطة الحركة المقاومة للنظام السائد والمهيمن. ليس فحسب ذاك المتمثل بالسلطات القائمة، بل كذلك الآخر، المستحكِم في العقول. يقول شعار المنتدى: «عالم آخر ممكن» دحضاً لفكرة حتمية هذه الهمجية... التي لم تعد تطال الشعوب المفقرة والمُخْضَعة فحسب، بل هي تعصف في قلب المركز نفسه، في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية.

ستكون فلسطين نجمة التظاهرة الختامية، التي تجري في «يوم الارض» نفسه، في ٣٠ آذار/مارس. مصادفة تضيء على النضال الفلسطيني العنيد والمستمر، كرمز أممي للتمرد ورفض الخضوع. والمراهنة هي على عدم تبديد فرصة انعقاد المنتدى في بلد عربي، وهو أمر ثمين، حيث عشرات آلاف ممثلي الحركات المقاومة لشتى أشكال الاضطهاد من العالم كله. تبديدها في دهاليز مناكفات لا طائل من ورائها، تدور حول حرب الاسلاميين والعلمانيين، كهويات جوهرانية وكلية، بدل الصراع على المواقف والبرامج... على كيفية استكمال التحرر الذي بدأته الثورة التونسية، وما تلاها. تلك هي المسألة!

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

من بين الـ ٤ ملايين سوري متأثرين مباشرةً بالأحداث الجارية، هناك مليونا طفل بحسب تقرير صدر قبل أيام بعنوان «أطفال سوريا... جيل ضائع»، عن منظمة «اليونيسيف» بمناسبة دخول الانتفاضة السورية عامها الثالث. وجاء في التقرير أنه من بين المليوني مهجَّر، هناك ٨٠٠ ألف طفل، علماً أنّ «هذه الأرقام تتجه إلى الازدياد».

الأولياء والصلحاء المغاربة في خدمة الشعب

مع توالي الأنباء الكارثية عن هدم أضرحة ومزارات الأولياء الصالحين في كل من ليبيا وتونس ومالي، يتضح أن صلحاء المغرب بخير. يردد الكثيرون هنا أنه إذا كان المشرق مخصوصاً بالأنبياء، فإن المغرب حباه الله الأولياء. وهؤلاء هم ورثة الأنبياء. وهم يحظون بزيارات دائمة.

أولياء متعددون

في زاوية تازروالت جنوب المغرب ينعقد موسم الفقراء إلى الله. وفيه أمداح نبوية وعرس ديني سنوي يمتد منذ أكثر من أربعة قرون. قرب مدينة مكناس وسط المغرب ينعقد موسم الولي الصالح سيدي علي بن حمدوش. وفيه تُرجى البركة من عين ماء ومن شجرة. المتميز في هذا الولي أنه يستقبل المثليين. كل سنة يجري التنديد بالفاحشة، تقيم الشرطة حواجز وتفحص وجوه المسافرين بحثاً عن ذوي ملامح مؤنثة. ترتفع المطالب بإزالة المقام. ثم ينعقد الموسم في السنة التالية. في مدينة برشيد قرب الدار البيضاء يرقد «بويا عمر» الذي يُرجع العقل للمجانين. كيف؟ يُقيّدون هناك سنوات ويُنفق عليهم إلى أن يشفوا أو يموتوا. المهم أن أسرهم تتخلص منهم.

في فاس يرقد سيدي أحمد التيجاني. يزوره الماليون والسنغاليون. وجلّ الطوارق في الصحراء الكبرى من أتباعه، وهو ذخر جيوستراتيجي للمغرب، إذ يسمح للبلد بالتأثير في المنطقة لمصلحته في نزاع الصحراء الغربية. وقد أدركت الجزائر متأخرة ذلك فنظمت مؤتمراً عن السيد التيجاني بدعوى أنه جزائري مدفون في المغرب. وكل عام يُقام موسم التيجاني في داكار برعاية الملك محمد السادس ويحضره آلاف المريدين. في منطقة صفرو قرب فاس، يوجد ضريح سيدي علي بوسرغين الذي يزوره اليهود والمسلمون. وقد تلقى الضريح منذ أشهر هبة ملكية نقدية. محمد الدهان، السوسيولوجي المغربي المختص، والذي رحلعن هذه الدنيا منذ اسابيع قليلة، أوضح سبب وجود مزارات لليهود وللمسلمين معاً، قائلاً أن المزار كان وثنياً، نهر أو مغارة أو شجرة. وحين جاءت اليهودية، دُفن حبْر في المكان، ثم استمرت الزيارة. وعندما جاء الإسلام تكرر الشيء نفسه. سنوياً يزور آلاف اليهود من العالم كله المغرب لإقامة «الهيلولة» ـ موسم صلحاء اليهود ـ في مختلف المناطق، وخاصة بالصويرة. ويهود المغرب في الخارج ذخر اقتصادي وجيوستراتيجي آخر، حتى لو كانوا نواة اليمين المتشدد في إسرائيل!

الشروط الأربعة للزيارة الناجحة

تشكل هذه الحالات من الصالحين نموذجاً للمغرب المتعدد. لكن يوجد مشترك بين طقوس الزيارة والتصورات التي تصدر عنها تلك الطقوس. لفهم ذلك، اتضح أن المعاينة مقترنة بالمشاركة. لذلك رافقت أقارب لي إلى ضريح. وقد قيل لي إن للزيارة أربعة شروط: النية والفتوح والأمنية والنذر.

ـ أولاً، النية وهي حالة نفسية. يقال إنه «بفضل النية الحاجة مَقْضيّة». ومن علامات صدق النية دخول المقام الموقر بالقدم اليمنى. وكل من توجه للضريح وقد هاج قلبه واغرورقت عيناه بالدموع يرجو حاجة تحققت. يحكى عن امرأة عاقر قصدت الضريح مشياً وهي تبكي لمسافة طويلة فصارت أمّاً بعد عام. أما من ذهب مرحاً للزيارة فلن يُصغى له.

ـ ثانياً «الفتوح»، وبلغة أهل الضريح «البثياض»، وهو تسبيق ـ نقداً أو عيناً ـ يقدمه الزائر للولي الصالح. من العار زيارة الضريح بيد فارغة. فالأولياء لا يحبون البخلاء. يذهب «الفتوح» للمشرفين على الضريح وهم غالباً من أحفاده. أحفاد سكنوا المدن وامتلكوا السيارات، لكنهم حريصون على الاستفادة من بركة الجد المقدس.

ـ ثالثاً الحاجة أو الأمنية. نويتها وكتمتها في قلبي. سألت عن نوع المطالب فوجدت تيسير عمل، تسريع زواج أو إنجاب، صرف نحس وجلب قبول، مباركة تجارة أو علاج مرض أعجز الأطباء... في القرى النائية تقصد العجائز والعوانس الضريح بدل التوجه للبرلمان للاعتصام والاحتجاج على التهميش. ليست الأمنية محلية فقط، إذ يمكن لمغربي مقيم في بروكسل أن يبعث أخاه ليزور الضريح ويقدم القربان فتتحقق الأمنية. واضح أن للولي نفوذ معولم. وهذا مفيد لأمنيتي. في بعض الأضرحة يقدم الزائر «الفتوح» ويضع أنية فيها دقيق تحت الثوب الأخضر الذي يغطي القبر. يبيت الزائر في فندق قرب الضريح وهو صادق النية محزون النفس. وفي الصباح ينظر في الدقيق فيجد علامة بمثابة «الجواب في الحين».

ـ رابعاً النذر، وهو المكافأة الختامية التي يلتزم الزائر بتقديمها للولي الصالح في حال تحقق الأمنية. والويل لمن لم يف بنذره. وفي هذا تروج حكايات يشيب لها الولدان عن العقوبات التي أنزلها الضريح بالزوار الكذابين. أذكر واحدة: تحكي امرأة أنها زارت ضريح المولى إدريس الأكبر وتمنت أن تنجب ذكراً وعرضت نذراً. وبالفعل بعد مدة أنجبت طفلاً. وبعد خمس سنوات غرق ابنها في حوض حمام الفيلا ومات. حينها فقط تذكرت أنها لم تلتزم بالنذر. وللتكفير عن كذبها اشترت كبشاً وقصدت الضريح وبكت بحرقة على ابنها. وحين حبلت مرة ثانية سمت الولد «إدريس» وأحضرت للضريح نذراً مضاعفاً. للإشارة أغلب حكايات تحقق الأمنيات نسائية.

كيف يصبح شخص ما ولياً؟

ويصير وسيطاً بين الله والناس. لا بد له أن يتميز عن العامة والفقهاء بالعبادة، بالزهد، بمحو الذات، بحيث يتماهى مع النص القرآني ويقوم بتنزيل التقوى في المعاملات، ثم يزور قبر النبي فتحصل له «البركة». يرى الناس ذلك فيدركون أن الرجل مختلف. ما هي وظائف البركة؟ هي «الرأسمال الرمزي» الذي خلفه الولي الصالح، يتوارثه أحفاده ويستخدمونه للسيطرة وللنظر في شؤون الناس ومعاشهم.

في المغرب أكثر من ألفي ضريح، لذا يسمّيه المستشرقون ببلد الشرفاء. كثير من المدن والقرى يبدأ اسمها بـ «سيدي» على اسم الولي الموقر المدفون فيها. تسمّى مراكش «مدينة سبعة رجال» ويقال أنهم سبب ازدهارها وأمنها من الإرهاب... بلغ التصوف أوجه في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وقد بدأت مدن الأندلس تتساقط بعد معركة حصن العُقاب سنة ١٢١٢. كثر التصوف في هوامش المدن الكبرى «الفاسقة». ويُعَد ابن الزيات مؤلف كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» أول من أرّخ لمناقب المتصوفة، وهذا الكتاب مهم يدخل ضمن أدب الخلاص والتوبة. وهو دليل على أن السرد الصوفي أهم من المنجز الشعري في المغرب. الكتاب من تحقيق وزير الأوقاف الحالي أحمد التوفيق. وهو مثقف من طراز رفيع ينتمي للزاوية البودشيشية. واختياره للمنصب رسالة لخصوم الزوايا والأضرحة.

تسحر أخبار كتب المناقب القلبَ وينكرها العقل. أخبار تسمى كرامات ويسميها رضّاع الشك أساطير. زعم جورج لوكاش أن «الأسطورة بلا بُعد تاريخي». هذا غير صحيح. فللبركة بعد تاريخي وللأولياء وزن سياسي حاسم في خدمة الشعب. فهمْ أوتاد البلاد وعماد استقرارها.

ما يعتقده الناس

أهم من كل درس يُملى عليهم

بُنيت جل الزوايا والأضرحة في الطرق التجارية قرب الوديان. وهنا تقام المواسم الدينية والتجارية. وقد تولّت الزوايا حفظ الأمن. فمواسم الولي مثل الأشهر الحُرم لا يجوز فيها القتال. وبذلك تزدهر التجارة. تباع السلع التي تصير قرباناً في باب الضريح. كلما كثر الزوار زاد الربح. يمكن شراء تيس أو ثور قرب ضريح، يذبح في عين المكان ويأكل الكثيرون اللحم مجاناً. الموسم فرصة للاستهلاك، وللعلاج، فبعد فشل الطب يعود الكثيرون للولي ليخلصهم من الألم. واضح أن الولي أكثر من عظام في قبر. وهو يتابع أداء كل الوظائف السابقة في القرن الواحد والعشرين. وما يعتقده الناس أهم من كل درس يُملى عليهم. فالولي مثقف عضوي، يقيم بين الناس وليس في برج عاجي. هَضَم أسئلة المرحلة وأجاب عليها عملياً لا نظرياً. يحرث ويطعم ويعالج. وليس من السهل اقتلاعه من مكانه ومن الوجدان الشعبي.

للإشارة فقد عرفتُ وزن الأضرحة من خلال فيلم «الزفت» للطيب الصديقي. فيلم مقتبس من مسرحية «سيدي ياسين في الطريق». وفيها تأتي الدولة بمشروع تعبيد طريق. رسم المهندسون مسارها فاتضح أنه يجب هدم ضريح سيدي ياسين لتمر مكانه. هل تسمح القبيلة بهدم الضريح أو نقله لإنشاء طريق؟

القبيلة تقول لا. فالولي يجلب البركة والمس به يجلب اللعنة. في النهاية تم تحوير الطريق. وهذا حل وسط. حصلت القبيلة على طريق سيار ملتوٍ وبقي الضريح شامخاً يعلو فوق ثمار الحداثة.

يبدأ جنريك فيلم «الزفت» بلقطة لأرض قاحلة يهطل عليها مطر ولا تُنبت. تتراجع الكاميرا للخلف فيتضح أنها جمجمة شخص أصلع. واضح أن الزفت في الدماغ لا في الإسفلت.

الوهابيون يكرهون الأولياء

في مغرب اليوم ترتفع طلبات وقف انعقاد مواسم الأولياء. فالسلفيون والوهابيون يكرهون الزوايا والأضرحة، ويعتبرونها من علامات الشرك بالله. لذا يريد السلفيون تطهير البلد من المنكر كما فعل الوهابيون بقبور الصحابة في الحجاز العام ١٩٢٥. ليتطابق ظهور المغرب مع وصول الإسلام إليه، فيصير عمره اثني عشر قرناً وهذا ما ترفضه الحركة الأمازيغية. لكن السلفيين المغاربة لا يجرؤون على المسّ بالأضرحة لثلاثة أسباب يُفصلها المدني إدكروم، وهو متصوف يساري وحفيد أحد الصلحاء:

السبب الأول، أن السلطة قوية وتسيطر على مجالها الترابي، وستجد فرصة لترجع قادة السلفيين للسجن. وغالباً سيعودون للسجن فور سقوط حكومة بنكيران.

السبب الثاني: تحارب الدولة التشيع والوهابية، لأنهما يهاجمان أركان الإسلام المغربي المتمثل في العقيدة الأشعرية وفقه مالك وتصوف الجُنيد. وهذا مصدر التجانس الديني في المغرب.

والسبب الثالث، أن تلك الأضرحة تحظى بتقدير كبير. وهي ذات انتماءات قبلية ومناطقية. فكل ولي صالح هو مفخرة للسلالة وللمنطقة التي دفن بها ومصدر رزق للكثيرين ولا يجوز المس به. يُحكى أن السلفي المغربي علال الفاسي (السلفية، نسخة محمد عبده) مر بمدينة مغربية فزار ضريح أشهر وليّ فيها. فلامه أحد أنصاره فقال له «إنها السياسة».

لم يؤد هدم الأضرحة إلى زوالها، بل سلط عليها الأضواء وأكد ضخامة دورها. لذا فعندما نصحني قريبي أثناء الزيارة بطلب «أمنية» رأيت أنه من الوقاحة أن أعتبر نفسي أذكى من القطيع. لذلك تقدمت بأمنية غير خبزية للضريح: لو ساعدني الولي على تصوير فيلم سينمائي يحصل على السعفة الذهبية في مهرجان كانْ، فسأنحر كبشاً أقرنَ للمريدين.

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

اغتيال نهر... عَمَّان

كان هُنا نهر، وكانت تربط ضفتيه جسور بدائية صنعت من الخشب. كان شريان حياة المدينة وسبباً للاستقرار فيها. أطلقت الحداثة الرصاص على النهر الذي سقط مضرجاً بالإسفلت والاسمنت.

شارع «سقف السيل»

غُيِّرت المدينة. عبث العمّانيُ بقلب مدينته، ليتحول سقف النهر الذي كانت المياه تتدفق غزيرة في مجراه، باعثة الحياة في الاشجار التي تحفه على الجانبين، الى مسرحٍ اسفلتي للتدفق الفوضوي للسيارات وسط غابة من المباني الإسمنتية التي تخنق جانبي الطريق.

كانت الخطوة الاولى لنهر عمّان تبدأ من رأس العين، ذلك النبع الغزير الصاخب، كما يصفه عبد الرحمن منيف في روايته «سيرة مدينة» (عمّان في الأربعينيات)، وتتواصل خطوات النهر قاطعاً الوادي كله بين التلال والجبال، مستقبلاً في رحلته كمّاً متزايداً من المياه التي ترفده من الينابيع الكثيرة على جانبيه. كانت الرحلة تمتد به ليلتقي بنهر مدينة الزرقاء (٢٠ كيلومتراً شمال شرق عمّان)، حيث يتحد الاثنان ويتابعان رحلتهما وصولاً الى نهر الاردن. لم يبق من الرحلة سوى الذكريات. العام ١٩٥٣، بدء العمل على تغير مجرى النهر استجابة للنمو الطبيعي لمدينة عمّان. شُرع يومها بتغطية النهر بسقف خرساني وإسفلتي تم إنجازه على مراحل، انتهى آخرها العام ١٩٨٢ ليختفي النهر تماماً. لم يبق من ذكره سوى الاسم الذي أطلق على الطريق الذي احتل مجراه: «سقف السيل».

من «سبيل الحوريات» الى مدينة الجفاف

كما المدن العريقة التي قامت الحياة على ضفاف أنهارها وبحيراتها، قامت الحياة في عمّان، التي أطلق عليها حين أنشئت في العصور السحيقة «مدينة المياه». والمياه ايضاً كانت أحد أهم الأسباب لإعادة تأسيسها في العصر الحديث. وعمّان البعيدة عن البحار والبحيرات عرفت منذ القدم بالعدد اللانهائي من عيون المياه التي تتفجر من بين تلالها السبعة. عيون كانت تكفي سكان المدينة حاجتهم وتتيح للفائض أن ينساب عبر وديانها نهراً.

كان النهر لسكان المدينة وغُزاتها في الماضي طقساً ونمط حياة. فعلى احدى ضفافه، وتحديداً عند نقطة التقاء مياه ينابيع رأس العين مع مياه ينابيع شارع الملك طلال (حالياً)، وينابيع شارع السلط (حالياً)، شيد الرومان في القرن الثاني الميلادي، «سبيل الحوريات»، وهو مكان للاستحمام والاغتسال.

مدينة المياه الجوفية يصف عبد الرحمن منيف نهرها في أربعينيات عمّان، فيقول: «ليس هناك أروع ولا أخطر من منظر هذه المياه، خاصة لمن يراها لأول مرة. انها تتدفق بغزارة، وكأن أحداً يدفعها، بل أكثر من ذلك، تضحك وهي تندفع، وتضحك بطريقة أقرب إلى العربدة، فها قد بدأت رحلتها البرَّاقة الحافلة في هذه الحياة، بعد أن طال سجنها وانتظارها في باطن الأرض».

ويرصد منيف مشهداً لفيضان النهر في أربعينيات القرن الماضي، والذي كان يعرف الغضب عندما ينهمر المطر غزيراً، ويعجز مجراه عن تصريف المياه، فيزداد عرضه رويداً. وكما يصفه منيف، يغادر سريره ليطغى على البساتين حوله من الناحيتين.

يومها كانت ساحات وأسواق عمّان تتحول الى بحيرة. طغت المياه على المتاجر وأغرقتها، وكما يبتهل الناس في أيام الجفاف الى الله لينزل المطر، ابتهل العمّانيون الى الله ليوقف المطر ويُلجِم النهر الغاضب. اليوم، في زمن اللانهر، لا يعرف العمّانيون سوى الابتهال إلى الله لينزل المطر الذي يأتي شحيحاً، وينتهي به المطاف الى الجريان في شبكات الصرف الصحي. يعطش العمانيون كل عام، ينتظرون دورهم لوصول المياه عبر الشبكات المتهالكة التي انضبت يوماً بعد يوم عيون المياه الموشكة على الانقراض، ليقترب يوماً بعد آخر إعلان عمّان مدينة جافة.

من اغتال النهر؟

ليست محاكمة لإدانة القاتل، فمن اغتال النهر ليس شخصاً بعينه أو عاملاً واحداً يتحمل مسؤولية الاغتيال. تكالب القتلة وسددوا الرصاص دفعة واحدة ليسقط النهر.

تحالف الانسان مع الطبيعة على الأزرق الذي قسم عمّان الى قسمين. التغيرات المناخية وتراجع سقوط الامطار أديا الى زيادة الاعتماد على المياه الجوفية التي اصبحت مطارَدة نتيجة الزيادة الهائلة في أعداد القاطنين في المدينة.

عمّان، لم يزدد عدد سكانها على ستين ألفاً في أربعينيات القرن الماضي، وفقاً لإحصائيات رسمية، وهو عددُ كانت مياه المدينة تكفيهم وتفيض نهراً. وفي اعقاب نكبة ١٩٤٨، ومع دخول اللاجئين الفلسطينيين، بدأ الضغط على المياه، وبدأت المدينة تعرف العطش. ثم حدث الوفود الى المدينة من المدن الاخرى والارياف والمناطق البدوية، فراح العطش يزيد مع زيادة عدد قاطنيها والذي يربو اليوم على المليونين ومئتي الف نسمة، وفق أرجح الإحصائيات.

تآمر الانسان على نهر عمّان الذي كانت تغذيه المياه الجوفية عندما اقدم العمّانيون على استيطان سفوح الجبال التي طرزت سريعاً بالإسمنت والإسفلت. وهو ما وقف حاجزاً أمام تغذية المياه الجوفية التي تتناقص وفقاً لدراسات وزارة المياه والري بمعدل متر سنوياً. انتهى النهر بأربع رصاصات قاتلة سددها التغير المناخي، والزيادة السكانية، وزيادة الطلب على المياه، والنمط العمراني. عمّان لم تعد مدينة المياه، وخجلاً لم يطلق عليها حتى الآن مدينة العطش أو الجفاف!

محمد الفضيلات

صحافي من الأردن

مواقع

شريكة / صديقة

مؤسسة الدراسات الفلسطينية: نصف قرن من النضال، بلا كلل

مؤسسة الدراسات الفلسطينية
Institute for Palestine Studies

ارتبطت القضية الفلسطينية باسم «مؤسسة الدراسات الفلسطينية». فالمؤسسة رافقت ولازمت موضوعها منذ نشأته، أو يكاد. وهي تبلغ هذه السنة الخمسين عاماً، فتحتفل باليوبيل الذهبي لتأسيسها من خلال معرض صور فوتوغرافية عن حياة فلسطين والشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨، من ضمن حملة دحض المقولة الصهيونية عن أن اليهود استوطنوا «أرضاً بلا شعب». والمؤسسة تُعتبَر «الوحيدة في العالم المتخصّصة حصراً بالبحث والتحليل والنشر فيما يتعلق بالشؤون الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي وإسرائيل»، وهي المصدر الأكثر موثوقية للمعلومات والتحليل عن الشؤون الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي، بحسب النبذة التعريفية التي يجدها زائر موقعها. وهو رأي يوافق عليه عدد كبير من رموز الثورة الفلسطينية، والمهتمّين بشؤونها سياسياً وأكاديمياً. يكفي تذكُّر الجيل التأسيسي الأول والثاني للمؤسسة، من فلسطينيين وعرب، لكي يُفهَم الدور الكبير الذي أدّته خلال نصف قرن: قسطنطين زريق ووليد الخالدي وبرهان الدجاني وسعيد حماد وإدمون رباط وموريس الجميّل. صحيح أن التأسيس كان في بيروت، إلا أنّ للمؤسسة مراكز في واشنطن وباريس ورام الله. وتتضح الهوية العربية الشاملة لكادر المؤسسة عند استعراض اسماء الأعضاء الـ٤٥ لمجلس امنائها، وهي التي ضمّت بلا انقطاع شخصيات الصف الأول من العالم العربي، من سياسيين ومفكرين وأساتذة جامعيّين وأدباء وفنّانين... ولا تزال لائحة باحثي المركز تضم حتى اليوم عدداً من أبرز الشخصيات العربية في مجالات الدراسات والعلوم الانسانية.

وعلى الرغم من المأزق الراهن الذي يعيشه النضال الوطني الفلسطيني، إلا أن إصدارات المؤسسة، من كتب وترجمات ومجلات ومجلدات ومنشورات، فضلاً عن ندواتها وأبحاثها، لا تزال تشهد على مستوى جاد ومتطلب. أما مكتبة المؤسسة، الورقية وتلك المتوفرة على الموقع، فهائلة بكتبها وبوثائقها، الحديثة منها، وتلك التي تعود إلى قرون غابرة (تصل الى القرن التاسع الميلادي). وقد كانت حماية هذا الكنز الثمين واحدة من أبرز هواجس القيمين على مؤسسة الدراسات الفلسطينية بل والمناضلين الذين واجهوا الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢، الذي وصل الى قلب بيروت.

صدر عن المؤسسة منذ إنشائها أكثر من ٦٠٠ كتاب بالعربية والإنكليزية والفرنسية. كما أنها تُصدر مجلتين فصليتين بالإنكليزية (Journal of Palestine Studies، Jerusalem Quarterly) ومجلّتين أخريين بالعربية (مجلة الدراسات الفلسطينية، حوليات القدس)، وخامسة بالفرنسية توقفت في العام ٢٠٠٨ (Revue d'études palestiniennes). ولكل من هذه المجلات هيئة تحرير مستقلة. كما تصدر منذ العدوان الإسرائيلي على لبنان خلال شهري تموز/يوليو وآب/أغسطس ٢٠٠٦، «مختارات من الصحف العبرية»، وهي نشرة يومية تلخّص أهم ما ينشر في الصحف الإسرائيلية اليومية من أخبار وتصريحات وتحليلات لكبار المحللين السياسيين والعسكريين الإسرائيليين، يعدّها جهاز متخصِّص بالشؤون العبرية. وتنظّم المؤسسة ندوات عامة ومغلقة ومحاضرات سنوية.

أصدرت المؤسسة ترجمات للمصادر الصهيونية الأساسية عن العبرية مباشرة. كما أقامت بدءاً من عام ١٩٧٨، دورات خاصة لتدريس اللغة العبرية استمرت عدة سنوات، خرجت عدداً من الباحثين.

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx

فكرة

سامر لن يموت

آخر أخبار سامر العيساوي هي احتضاره. تتهاوى نبضات قلبه في الدقيقة. الشاب مُضرب عن الطعام في سجون الاحتلال منذ ما يفوق ٢٤٠ يوماً. بهدوء و«عادية» نستقبل هذه الأخبار. يقين كامل بأنّ سامر لن يموت. الشاب الذي يحيا منذ أشهر بمعدة خاوية، متمسكاً بمطالبه، رفض أي نوع من المساومة. قرّر أنّ ما بدأ به عليه أن ينتهي بالايجاب. هو حتماً مدرك أن أحد السيناريوهات يحمل في نهايته جثّته هامدة. لكن سامر بصبره وثباته، يؤكد يومياً أن هذا الاحتمال ليس مُستثنى من خانة «الايجابي». وهو الذي قال في رسالته الأخيرة « لن أبقى هنا، لن أبقى أسيراً، سأتحرر ولو بالموت».

أشكال المساومة المعروضة عليه، لم تُزحزح في موقفه شيئاً. رفض كلّ عروض الحرية المشروطة، فما هو مجتزأ لا يدخل في قاموسه. وكلّ ما يزيد من أعداد اللاجئين وحجم المأساة الفلسطينية، لن يقبل به. لن يقبل العيساوي بالخروج من القدس مقابل الخروج من الاعتقال. دفاع عن الحقّ وصبر لا يشبه سوى الفلسطينيين. كلّ تلك السنوات والآلاف من «سامر» يُحْيون القضية. كلّ هذا المقدار من الصبر والرغبة بالاستمرار يهوّن عليهم ما خسروه. في ٣٠ آذار/مارس تحلّ ذكرى يوم الأرض. وفي هذا اليوم من هذا العام يدخل اضراب العيساوي يومه الـ٢٥١، معلناً أن النضال لأجل الأرض مستمرّ وأن فلسطين حقيقة. في هذا اليوم، سيكون سامر قد اقترب أكثر من الموت... اقترب من الحرية كما هي متاحة له.

في مكان قريب من اضراب الأسرى في السجون الإسرائيلية، نضال آخر تحت الضوء. ملاحقة المشاريع الاستيطانية والسعي لايقافها بأي طريقة. هذا العام وُلدت قرية «باب الشمس». هدمها الاحتلال مرّتين، لكنه لم يلغ تلك الرغبة الجارفة لاعادة احيائها. حضنت «باب الشمس» منذ ولادتها كلّ الأمل بالحفاظ على هذه الأرض. تعود ذكرى «يوم الارض» هذا العام، وفلسطين رغم كل شيء تستمر في الابداع مصرة على حق العودة. والشباب هم من يحتل واجهة المسرح. لم يُطبِّعوا ولم يعتادوا. فباب الشمس استتبعت خطوات أخرى في مسيرة تلك الحرقة المرافقة لكل فلسطيني. في آخر الأخبار، أن شباناً رفعوا العلم الفلسطيني على «جبل البابا» في العيزرية، ونصبوا خيامهم في ذلك الموقع الذي تعتزم اسرائيل اقامة مشروع استيطاني عليه. اطلقوا اسم «حي أحفاد يونس» عليه. الجبل مطلّ على الشارع الرئيسي لمدينة القدس والعيزرية ومستوطنة معاليه أدوميم. قرّر الشباب الحفاظ عليه بطريقتهم.

ينتظر يوم الأرض في هذا العام الكثير. تنتج فلسطين أساليب صراع جديدة. سامر الذي أصبح وزنه، مع استمرار اضرابه، ٤٧ كيلوغراماً، يقف منفرداً متحدياً اسرائيل. كذلك يفعل الشباب مع بناء قراهم الصغيرة، ولو كانت معروفة المصير، لا بأس. سيكررون. كما هو حال قرى النقب التي تهدم ويعاد بناؤها لعشرات المرات. هو صراع لا تبدو عليه علامات الخبو. كل عام وانتم بخير.

زينب ترحيني

العربي السفير

قضية

أكثر من ٢٠٠ شخص جُرحوا يومي الجمعة والسبت الماضيين في محافظات مصرية عدة، خلال اشتباكات بين معارضين للرئيس محمد مرسي ومؤيدين له. اشتباكات كانت الأعنف في الأشهر الماضية، وتخللتها ممارسات في غاية البشاعة. فرصة انتهزها محامو «الاخوان المسلمين» لرفع دعاوى بحق ١٦٩ من السياسيين المعارضين بتهمة «التحريض على العنف».

الجزائر: رائحة نفط وفساد وغضب

إنه «جنوب جميع المشاكل» بالنسبة للسلطة الجزائرية. وفي حين فُرضَت حرب مالي من قبل فرنسا ضدّ الحل السياسي الذي اقترحته الجزائر، فإنّ الهجوم الإرهابي ضد قاعدة «تيغنتورين» النفطية (إن أميناس)، الذي تلاه احتجاز كثيف للرهائن في عمق الجنوب، قرب الحدود مع ليبيا، طرح تساؤلات كبيرة حول فعالية الإجراءات الأمنية المتخذة. كانت حصيلة الخسارة بالأرواح ثقيلة، على الرغم من أن هناك اتفاق على أن القوات الخاصة الجزائرية قد حدّت من الخسائر خلال عملية خطف رهائن غير تقليدية، حيث كان هناك حوالي ٨٠٠ شخص مهدّداً.

الفساد والامن متناسبان؟

يكمن الفشل في واقع أن الإرهابيين تمكنوا من الوصول إلى القاعدة النفطية التي كان يُفترَض أنها تتمتع بحماية أمنية كبيرة. بالنسبة لنظام يقدّمه العالم ــ ويقدّم نفسه ــ على اعتبار أنه فاعل جداً في الحرب ضد الإرهاب، أثارت القضية نقاط الضعف الكبيرة من النواحي الاستخبارية، ومراقبة الحدود، وتأمين محيط موقع غازي حيوي. وسواء أكان بالنسبة للرأي العام الجزائري أو العالمي، ولأسباب مختلفة، فإنّ هذا الضعف الذي كشفته العملية يوجّه ضربة قاسية لصورة النظام الذي برّر انعدام ديموقراطيته بهمّه بتوفير الأمن.

الجنوب الجزائري، حيث تكمن الثروات النفطية والغازية، الذي لم يشهد هجوماً مماثلاً حتى خلال عقد العنف الكبير في التسعينيات، ليس مجرد همّ أمني. ففي حين لم تُهضم بعد حادثة «تيغنتورين»، على صعيد تقييم الأعطاب الأمنية أو العلاقات مع الشركات الأجنبية، فقد ظهرت قضايا فساد لتكشف عن الجانب المظلم من النظام.

فساد مُدار بدقة

ليست قضايا الفساد أمراً حديث العهد في الجزائر. فالجزائريون يدركون، ومن دون توهّم، أن النظام «معتاد» على تقديم بعض الأفراد، من وقت لآخر، إلى العدالة للقول إنه مهتمّ حقيقةً بمحاربة الفساد. كما أنّ الجزائريين تعلّموا وضع إطلاق عجلة إجراءات مكافحة الفساد، في خانة المعارك بين أطراف السلطة. هي قضايا فساد «مُدارة» بدقّة لا متناهية، بطريقة لا تتخطى عتبة «المسألة التافهة». وفضيحة «مصرف الخليفة»، الذي تأسس عام ١٩٩٨ على يد أحد ابناء وزير سابق، مع دعم النظام له، تُظهّر أيضاً هذه الإدارة الاستثنائية لملف الفساد. كان المصرف المذكور عبارة عن عملية نهب هائلة للأموال العامة وللمستثمرين، مع تحويل أموال بشكل غير قانوني إلى الخارج. ومن ضمن المتهمين في المشهد القضائي الذي جرت فصوله في العام ٢٠٠٧، لم يظهر إلا أشخاص ثانويون، بينما كان معلوماً أن أركاناً كباراً في النظام كانوا من المستفيدين.

مزيان وشكيب وفريد وخلدون، والاخرون...

في كانون الثاني/يناير ٢٠١٠، أدّت تحقيقات الاستخبارات الجزائرية إلى إعدام قضائي استعراضي للإدارة العليا لشركة «سوناتراك»، مؤسسة النفط والغاز الحكومية. بموجب هذه العملية، تمّت ملاحقة رئيس مجلس إدارة المؤسسة، محمد مزيان ونجليه، كما تمّت ملاحقة كوادر مسؤولة عديدة أخرى على خلفية قضايا فساد مرتبطة بتقديم الرشى. لم يكن نجلا رئيس مجلس إدارة «سوناتراك» عضوين في إدارة المؤسسة، لكنهما اتُّهما بتأدية دور «الوسيط» و«المسهِّل» لمكاتب دراسات ومؤسسات أمنية خاصة. وبما أنه يستحيل أن يحصل أي شيء في «سوناتراك» من دون موافقة وزير الوصاية، أي وزير الطاقة والثروات المعدنية، شكيب خليل، وهو أحد المقربين من الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فقد تمّ وضع المسألة في الخانة «السياسية»، على اعتبار أنها رسالة تحذير للوزير المذكور. ومع الإطاحة بمسؤولي «سوناتراك»، أعلن شكيب خليل أنه لم يعد لديه «عناصر إلا ما تحدّث عنه الإعلام». وبهدف التشديد على الطابع «السياسي» لهذه المسألة، أوضح الوزير أنه «لا يعرف» مَن هو الطرف الذي تقدم بالدعوى القضائية في هذه «القضية». وأضاف حول هذا الموضوع قائلاً إن «الصحافة كانت تعرف قبلي بالموضوع، وربما قبل القاضي حتى». وكان مصير خليل موضوع معاملات وترتيبات. لقد غادر الحكومة في ايار/مايو ٢٠١٠ غداة تعديل حكومي من دون أن تلاحقه العدالة، وحتى من دون أن تستدعيه للاستماع إلى إفادته. كان ممنوعاً المسّ بخليل، لكونه من بين الأشخاص الذين يمتلكون قدراً كبيراً من المعلومات التي سيؤدي الإفصاح عنها إلى التسبب بأذى سياسي ثقيل. كان الرجل يتمتع بـ«الأمان»، وهو الذي فشل في اللحظات الأخيرة بتمرير مشروع قانونه للمواد النفطية في العام ٢٠٠٥، الذي كان من شأنه ببساطة وضع الثروات التي تختزنها الجزائر بين أيدي الشركات متعدّدة الجنسيات. «أمان» ظلّ سارياً حتى أعادت قضايا الفساد الجديدة تلك توجيه نيران الفضيحة صوبه. هذه المرة، ومنذ مطلع شهر شباط/فبراير الماضي، تنهال المعلومات كالمطر، وهي لم يتم وضعها كما جرت «العادة» في خانة الصراع السياسي بهدف الحدّ من آثارها وحتى طمسها. والسبب خلف ذلك هو أنّ قضاة إيطاليين يجرون تحقيقاتهم حول أعمال شركة «سايبم» النفطية، التي تعمل في مجال الهندسة النفطية والحفر، وتملك مجموعة «ENI» الايطالية النفطية ٤٣ في المئة من أسهمها، وهي أعمال تشكّل مصدر الاعترافات التي تهدّد بشكل كبير بالكشف عن الحقائق. وأمام عجز الصحافة عن تجاهُل هذه الوقائع، فقد تناقلتها. وقد تأكّد الرأي العام الجزائري من أنّ الفساد في الجزائر مسألة «عائلية»، بالمعنى المافيوي للكلمة. تأكّد أنّ الفساد يشكّل «جزءاً من الخريطة الجينية للنظام» بحسب تعبير موقع La Nation الالكتروني. وتفيد الفضيحة بتقديم شركة «سايبم» رشى بقيمة ٢٠٠ مليون يورو، مقابل نيلها عقوداً عدة بقيمة إجمالية تبلغ ١١ مليار دولار. وقد دُفعَت هذه الرشى عبر شركة تتخذ من هونغ كونغ مقراً لها، إلى حسابات مصرفية في زيوريخ والفجيرة ودبي. وتعطي المعلومات الواردة من إيطاليا، التي تبعتها أخرى من كندا (من خلال شركة SNC Lavalin) صورة فائضة عن النظام. كان «الوسيط» في هذه الفضيحة، أو «الصديق الضروري»، فريد بجاوي، إبن شقيق محمد بجاوي، القاضي السابق في محكمة العدل الدولية، والذي شغل منصب وزيرٍ مرات عدة، وهو مقرَّب من الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

لقد عاش فريد بجاوي، الذي يبلغ من العمر ٤٤ سنة، حياة ذهبية متنقلاً بين الأحياء الفخمة في باريس ومونتريال... وقد أصبح «الصديق الضروري» لشركات أجنبية ساعية للحصول على عقود نفطية، وذلك فقط لكونه ابن شقيق محمد بجاوي. وشكيب خليل معنيّ مباشرة بالقضية. وتفيد معلومات أخرى بأن فريد بجاوي متعاون مع خلدون خليل، نجل وزير الطاقة السابق في الجزائر، وكان الرجلان «يديران أصولاً بقيمة ثمانية مليار دولار في الشرق الأوسط وآسيا». وقد حيّا جزائريون ساخرون على موقع «فايسبوك»، غِنى اللغة العربية مع اختراع مصطلح «الشكبة» (المشتقة من شكيب)، والفرنسية بفضل كلمة «السيبمة» المشتقة من اسم الشركة saipem)). وقد حاول الرئيس بوتفليقة، الذي ظلّ صامتاً حتى ذلك الحين، أن يظهر بصورة النبيل، من خلال بثه رسائل تفيد بأنه «لن يدع الأمر يمرّ».

وسط ذلك: حركة العاطلين عن العمل

لقد أعلن القضاء الجزائري أن القضية تندرج في خانة فضيحة «سوناتراك ٢». لكن بالنسبة للجزائريين، فإنّ ما كشفته التحقيقات الايطالية ــ الكندية ليست سوى الجزء الظاهر من جبل الفساد الذي يأكل البلاد ويدمّرها في العمق. إنّ نفط وغاز الجنوب هو قضية «عائلات»، و«وسطاء» ورشى... وفي هذا الإطار الفضائحي، قررت حركة العاطلين عن العمل تنظيم تظاهرة في وَرقلة في الجنوب من أجل الدفاع عن الحق بالعمل، وللتنديد بـ«الاستعباد» الذي تمارسه الشركات المفوَّضة في المناطق النفطية. لقد حاولت الحكومة إطلاق حملة مضادة من خلال اتهام هؤلاء المتظاهرين بتهديد وحدة البلاد... وبكونهم يعملون لمصلحة «أجندات خارجية»، وفق تعبير مسؤولة عن حزب يفترض أنه تروتسكيّ!

«النظام الجزائري المحاصَر بالقضايا، يخترع عدواً له في الجنوب»، بحسب صحف كتبت بقسوة. لكن عبثاً. لقد حصلت التظاهرة في وَرقلة بتاريخ ١٤ آذار/مارس، ونجحت بشكل كبير، بينما لم تنجح محاولة التمويه التي قام بها النظام. هناك في الجزائر، من جنوبها إلى شمالها، رائحة نفط وفساد وغضب.

الأخضر بن شيبة
كاتب من الجزائر

http://part-maniac.over-blog.com

دولة بلا صوت

بفعل صدفة توقيت بحتة، تزامنت منذ أيام زيارة كريستين لاغارد، المديرة العامة لصندوق النقد الدولي، إلى الجزائر مع تظاهرة العاطلين عن العمل في جنوب البلاد، ما جعل الحدثين يحضران جنباً الى جنب في الصحف الجزائرية. وقد أسالت كل من الزيارة والتظاهرة الكثير من الحبر، وسط غياب فاضح لموقف السلطات الرسمية. الصوت الوحيد المسموع كان للسيدة لاغارد نفسها التي زارت البلاد شاكرة قرض المليارات الخمسة الذي قدّمته الجزائر لصندوق النقد (!)، ولكي تتكرّم ببعض النصائح الهادفة إلى تحقيق انفتاح أسرع للاقتصاد الجزائري، وانخراطه في العولمة الليبرالية.

ولم يتحدث رئيس الحكومة علناً إلا بعد يوم من تظاهرة آلاف المتروكين لمصيرهم في وَرقلة (غير البعيدة عن حقول حاسي مسعود النفطية)، المتهمين من قِبل الأبواق المعتادة للنظام بكونهم عملاء للخارج، وانفصاليين. فلنعترف، أمام وضوح تظاهرة العاطلين عن العمل الضخمة، والمدعَّمة بشعارات ولافتات وطنية، أنّ منظِّميها لم يكونوا منفِّذي «ثورة ملوّنة»، أو استراتيجية ما لتحقيق الاستقلال الذاتي لمنطقة الصحراء، وضعت الدوحة وواشنطن السيناريو الخاص بها.

صمت بوتفليقة المريب

رئيس الدولة الذي لطالما عرفناه مُكثراً في الكلام، لم يعد يتوجّه بخطاباته إلى المواطنين منذ أشهر عدة. وظهوره الأخير في مداخلة متلفزة (تمّ الإعداد لها بشكل بالغ السوء، وتمّت منتجتها بشكل مضخّم)، يعود إلى نيسان/أبريل ٢٠١١، غداة سقوط نظامي بن علي ومبارك. حينها، كان من الواجب الإقدام على بعض الانفتاح، مع مواصلة التركيز على الاختلافات (الحقيقية فعلياً) بين أوضاع بلدان «الربيع العربي» من جهة، وظروف الجزائر من جهة ثانية. ومنذ ذلك التاريخ، يغطّ النظام في صمت مميت. حتّى الاعتداء الدامي وغير المسبوق، والذي جذب التغطية الإعلامية بشدة في حقل «تيغنتورين» النفطي على الحدود مع ليبيا، في عمق الصحراء، لم يدفع بعبد العزيز بوتفليقة إلى الخروج من سُباته. ولا يزال التواصل الاعلامي للقصر الرئاسي مقتصراً على بيانات صحافية نادرة تبثّها وكالة الأنباء الرسمية. وتوالي الإعلانات الفضائحية في الصحافة الايطالية والكندية، حول الفساد الهائل لوزير النفط شكيب خليل، الذي لا يزال يحظى بحماية الرئيس، واستحداثه شبكة من الوسطاء الفاسدين مع الشركة الايطالية «إيني»، مؤلفة من أفراد الشريحة الحاكمة المدللة الجزائرية، كل ذلك لم يؤدِّ إلى أي نوع من التواصل الرسمي، لأي مستوى انتمى، باستثناء إعلان لا يتخطّى الحد الأدنى، صادر عن قاضٍ يؤكد فيه أنه «سيتم تسريع الإجراءات فور الحصول على الأجوبة عن الإنابات القضائية الموجهة إلى القضاء الإيطالي». غير أنّ الجميع يدرك أنّ شبكات الكوميسيون الإجرامية هذه، تنتمي إلى أرفع أجهزة السلطة، أي إلى رئاسة الجمهورية والمحيط العائلي لعبد العزيز بوتفليقة، وإلى قيادة جهاز الاستخبارات الذي يتحدّر منه الأوليغارشيون الذين يفرضون حالياً نفوذهم المالي والتجاري بشكل علني. في مواجهة هذه الفضائح ذات الدوافع المعروفة من الجميع، اتخذت السلطة وضعية التقوقع لتدافع عن نفسها، واعتمدت، مثلما فعلت إزاء الفضائح السابقة، على عامل الوقت والنسيان ومحو الذاكرة. مَن يتذكّر، من جملة الفضائح، قضايا مصرف خليفة، أو شركة BRC، العملاقة للمقاولات، وهي شركة مختلطة جزائرية ـ أميركية، وفرع لشركة «هاليبرتون» في الجزائر؟

فرنسا مجدداً في الجزائر!

هذا الصمت الرسمي يظهر كأنه استقالة، تحديداً في مواجهة المغامرات الغربية في ليبيا، والخضات التراجيدية السورية، والتدخل الفرنسي في مالي. فغياب الجزائر عن مسائل بذلك الحجم من الأهمية، يشكل قطيعة واضحة مع المبادئ التي أرست تقليدياً السلوك الديبلوماسي الجزائري. الغياب الجزائري الكبير عن جميع المحافل الدولية ، مادة لتفسيرات مختلفة، لكن من الواضح أنه يترجم قبل أي شيء آخر، التوجهات العميقة لأصحاب القرار الحقيقيين. ومثلما تمّ رمي «الجمهورية الاجتماعية» التي أرادها ثوار الأول من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ في غياهب النسيان على يد اللبرلة الاقتصادية والتصحيح الهيكلي، فقد تمّ إخماد العقيدة المعادية للامبريالية والنضال من أجل نظام عالمي جديد. ويُختصَر دعم الجزائر لأنظمة القذافي وبشار الأسد «الشقيقة» بالامتناع عن التصويت خلال اجتماعات جامعة الدول العربية، أو بالاستضافة المحرَجة لأفراد من عائلة مرشد الجماهيرية الآفلة. بات النظام الجزائري معزولاً في الجبهة الداخلية، وهو لا يصمد إلا بفعل التسلط القائم على جبروت جهاز الاستخبارات، والجهاز الأمني الهائل. وفي حين بات النظام مفتقداً الشرعية الداخلية المقنعة، فهو لم يعد يجد الدعم إلا من الخارج، بدءاً بفرنسا التي تؤدي دور الضامن الدائم، وهو ما أمكنت ملاحظته مجدداً مع النهاية الدموية لأزمة الرهائن في «تيغنتورين». خلال تلك الحادثة، وقفت باريس بحزم إلى جانب الجزائر، وقد عرفت كيف تُسكِت كل الانتقادات، خصوصاً اليابانية والبريطانية، حول إدارة وخاتمة عملية عسكرية قامت بها السلطات الجزائرية، وأودت بحياة المهاجمين، لكنها أدت أيضاً إلى قتل ٣٢ رهينة.

حتى وإن كانوا غير موافقين أبداً، (ولأسباب رديئة)، على تدمير القذافية، وعلى رقصة جز الرؤوس في سوريا، فإن المسؤولين الجزائريين مرغمون على التزام الصمت وعلى التعاون لمواصلة الاستفادة من الغطاء الدولي للراعي الفرنسي. ليس وارداً إغضاب الحامي القوي، وبالتالي لا مجال إلا لالتزام السقف الأدنى الممكن.

الهدف هو البقاء في الحكم

بالنسبة لفريق المسؤولين الصامتين بالكامل، والراكنين في الظل، والذين يبلغ متوسط أعمارهم الـ ٧٥ عاماً، فليس هناك من هدف سوى البقاء في الحكم. الكثير من الجزائريين، وليس فقط من صفوف المعارضة، يلاحظون بمرارة، هدر الحكّام العجزة رصيدُ علاقاتٍ مع أفريقيا يعود إلى زمن حرب التحرير. وهي سياسة أفريقية شكّلت، إلى جانب دعم الشعب الفلسطيني، الحجر الأساس لديبلوماسية جزائرية جسدت سياسة عدم الانحياز بفعالية. إنّ اختفاء تأثير وفعل الجزائر في منطقة جنوب الصحراء، بقدر ما يثير الاستياء، فهو يترك الساحة مشرَّعة أمام حلفاء القوى الإستعمارية الجديدة، كالمغرب الذي استهلّ ملكه أخيراً جولة في أفريقيا الغربية بهدف «تسويق» خطة لاستقلال ذاتي لشمال مالي. استقلال ذاتي يبرّره الملك بالقول إنه مماثل لذلك المطبَّق من قبل المملكة المغربية في الصحراء الغربية المحتلة.

هكذا، فإنّ الجزائر التي يحكمها رسمياً رئيس بات وهنه ظاهراً، ويحكمها بالأمر الواقع مدير استخبارات لا يتزحزح وخفي بالمطلق، هي دولة صامتة وغير مرئية. في هذه الدولة، توكَل أدوار التحريك «السياسي»، وهي بشكل أساسي مجرد عملية إيماء من على المنابر بلا ترجمة حسّية، فضلاً عن مهام التمثيل الرسمي، إلى رئيس حكومة، من الواضح أن هوامش مناوراته محدودة، ومواقفه لا تمثّل إلا شخصه.

لقد وصل السُّبات العميق الذي تعيشه السلطات الجزائرية إلى أعماق غير مسبوقة منذ استقلال الجزائر العام ١٩٦٢. الجزائر المجرّدة من أي صوت، لا تملك استراتيجية ولا برنامجاً، باستثناء الهرب إلى الأمام في إطار التكيُّف الدائم والمرتجَل مع شروط واقع متغيِّر. بجميع الأحوال، لم يسبق للديبلوماسية الجزائرية تاريخياً أن أظهرت شخصية ضعيفة بالشكل الذي تظهره حالياً، ونادراً ما رأينا في التاريخ المعاصر، مسؤولين على هذا القدر من الإقلال في توجّههم إلى شعب يفترض أنهم حكامه.

عمر بن درة
اقتصادي من الجزائر

يوماً ما سنحتفل بالتعادل

الزاوية الحمراء
كتب نائل
ورسم Mahfouf

فجأة قام الإسلاميون باغتيال طفل لنا، ثم تلاه طفل، ثم طفل آخر، ثم طفل أخير.

الفاعل مجهول. ولكن هذا لا يعني أنه لا يمكننا الانتقام لدماء أطفالنا. ماذا يمكننا أن نفعل؟ بالظبط. زرعنا عبوة ناسفة في إحدى حضانات الأطفال الإسلامية. انفجرت العبوة. قتلت خمسا وعشرين طفلاً.

أقمنا حفلاً كبيراً تحت عنوان «تحقق العدل الإلهي»، ولكن أحد الكتّاب الإسلاميين عارض الحفل بشدة، قال لنا إننا، كعلمانيين محترمين، لا يمكننا الاحتفال بتحقق العدل الإلهي. قال غاضباً: «علمانيون ملحدون يحتفلون بالعدل الإلهي. أية مسخرة هذه!» ولأنه لا تنقصنا فضيلة الاعتراف بالخطأ، فقد قررنا تغيير اسم الحفل إلى «تحقق العدل الدنيوي». ودعونا هذا الكاتب الإسلامي للحفل لكي نظهر أننا لا نخشى المناظرة ولا مواجهة الرأي بالرأي الآخر. حضر الكاتب الحفل وكانت لديه أشياء أخرى يقولها.

بدأ ادعاءه بأن الإسلاميين قتلوا لنا أربعة أطفال فحسب، ونحن قتلنا خمساً وعشرين، وبالتالي فهناك تسعة عشر طفلاً مازلنا مدينين بهم للإسلاميين. اقتنعنا بهذا أيضاً، سألنا الموجودين إن كان أحدهم لديه أطفال زيادة يمكنه التبرع بهم للإسلاميين. وجدنا طفلين عند واحد، وطفلاً عند آخر، وأربعة عند آخر، وهكذا. تم ضبط الموضوع، مع عجز تبقى لدينا في أربعة أطفال.

احترنا قليلاً في كيفية تدبير أمر هذا العجز، وذلك حتى خرج واحد من عندنا ليقول إن ثلاثين طفلاً أصيب من عندنا على يد الإسلاميين، وإن سبعة منهم حالتهم حرجة. وإن هذا يجعل الإسلاميون هم المدينون لنا، لا نحن المدينين لهم. مدينون لنا بكم طفل؟ هذا سؤال جيد، قدرنا الإصابات، وقررنا أنهم مدينون لنا بطفلين مقتولين، مقتولين لا مصابين، التمييز ضروري. وافقنا الكاتب الإسلامي على هذا، وفي لمسة صدق نادرة اعترف إنه كان واحداً ممن قتلوا طفلاً لنا، ولذلك فهو سيمتثل للقصاص، هو بذاته، لكي يثبت لنا أن الشريعة الإسلامية هي شريعة الحق. قال إن أطفاله مشغولون في الاستعداد لامتحانات الابتدائية، ونظراً لظروفهم الصعبة، أي الامتحانات وما إلى ذلك، فهم غير مستعدين للموت حالياً، ولكن أخاه لديه طفلان جاهزان ومستعدان لأن يُقتلا. كلّم أخاه في التلفون وسأله إن كان مستعداً لهذا. وانتظر دقيقة حتى يسأل أخوه طفليه إن كانا مستعدين. واضح أن الطفلين كانا مستعدين تماماً لأن يثبتا للعلمانيين إنه ليس لديهم، كإسلاميين، ما يخشونه، وإنهم لا يخافون أبداً الاعتراف بالحق.

وهكذا، عندما تم ضبط الحسبة، استطعنا أن نكمل حفلنا بهدوء، شربنا الويسكي مخلوطاً بالياسنسون. حفل توافقي بين العلمانيين والإسلاميين حمل اسم «تحقق العدل الإلهي والدنيوي للجميع»، أو، بالأحرف الأولى، حفلة الـ«تعادل».

السفير العربي

متابعات

أول مشروع لمحطة شمسية حرارية في جنوب مصر وضع حجرها الأساس يوم الاثنين الماضي في ٢٥ آذار/مارس في محافظة أسوان. ومن المنتظر بدء تشغيل هذه المحطة عام ٢٠١٦. وتعاني محافظات الجنوب المصري أزمة جدية في التغذية بالكهرباء، بسبب غياب محطات توليد الكهرباء فيها، واعتماد هذه المنطقة على نقل الكهرباء من المناطق الشمالية.

الكويت بين المشيخة والإمارة الدستورية

قد يختصر المشهد السياسي في الكويت وفق التالي: العملية الديموقراطية آخذة في التآكل والتراجع، وفاقدة أصلا مقومات كثيرة، رغم وجود دستور. وهذه هي الاسباب:

سلطة الحكم مشيخية

تسيطر عقلية المشيخة على المسار الديموقراطي من خلال:

١ ـ توسيع سلطات الأمير ومنع مس ذاته حتى ولو بأقل النقد. والكويت من أكثر الدول اعتقالا للمغردين، وأغلبهم بسبب «مس الذات الأميرية». وتشمل صلاحيات الامير اختياره لرئيس الوزراء بعد قيامه بتشاورات بروتوكولية، غير ملزمة، رغم انها منصوص عليها دستوريا. التشاور يتم مع رؤساء مجلس الأمة السابقين، ورؤساء الوزراء السابقين، وزعماء التيارات السياسية (كون الأحزاب غير مشرعة قانونا). وتُفقِد سلطةُ الامير هذه مجلسَ الأمة قدرتَهُ على قبول برنامج رئيس الوزراء، أي، وفي نهاية المطاف، قدرته التشريعية، إضافة لعدم تدخله بقبول

اتفق مجلس الأمة الجديد، الموالي، مع السلطة التنفيذية على تأخير الاستجوابات بحجة التشريع. ولكن تشريعاته «تنفيعية» للحكومة والتجار. وكمثال، اقر قانون شراء ديون المواطنين، وشطب الفوائد عنها، ما سيكلف الخزينة مبلغاً يتراوح بين ٣,٥ مليار دولار و١٤ مليار دولار. وكانت الحكومة رفضت قانونا مماثلا في السابق، بالرغم من اقراره بأغلبية ساحقة في برلمان ٢٠١٠.

تشكيلة الوزراء الموكلة أصلا لرئيس الوزراء. ولا يملك مجلس الامة سوى قدرة الرقابة والمحاسبة لرئيس الوزراء في حال تقصيره بتنفيذ برنامجه الذي تبناه أمامه.

٢ ـ احتكار الوزارات السيادية واقتصار تسلمها غالبا على أبناء الأسرة الحاكمة، أي غياب مبدأ الكفاءة مقابل الاعتبار العائلي، وهو ما يعزز المحاصصة وفق مبدأ المشيخة على حساب المساواة التي نص عليها الدستور.

٣ ـ مشاركة الوزراء في التصويت داخل مجلس الأمة، وهو ما يشل غالبا قدرة المجلس على ممارسة وظيفته الرقابية والتشريعية كما يتوجب عليه. ويضاف الى هذه البدعة معوقات «واقعية»، مثل وجود كثير من النواب الموالين للحكومة. هذا علاوة على تكريس ثقافة التسويات السياسية وتمرير المصالح القبلية والمذهبية على حساب المواطنة. وللتذكير، فالكويت تحتل مركزاً متقدماً في لائحة الدول التي ينتشر فيها الفساد في مؤسسات الدولة، علاوة على الروتين والبيروقراطية. وهكذا، يلجأ المواطن للنائب الممثل له لينجز له معاملاته، وفق مبدأ الوساطة. وهذا بدوره يضعف أيضا تطبيق القانون، حيث يتم تمرير معاملات مخالفة للقانون من قبل الوزير المعني، للنائب المتدخل، مقابل إما مصالح مشتركة متبادلة أو تحت سلاح الاستجواب الذي يرفعه النائب كثيرا في وجه الوزراء دون اتباع الآليات السليمة للمحاسبة، خاصة حينما يرفض الوزير تمرير كثير من معاملات بعض النواب.

٤ ـ غياب الأحزاب، وهو ما يكرس القدرة على اختراق مجلس الأمة من قبل السلطة باستخدام المال السياسي في شراء الأصوات من قبل مرشحين تدعمهم السلطة. ووجود الأحزاب يساعد في تقديم برامج انتخابية إصلاحية تعرض في الجمعية العمومية على المحازبين وتتم مساءلتها في حال عدم الالتزام بالبرنامج أو التقصير.

٥ ـ عدم وجود مؤسسات مجتمع مدني تهتم بالشأن السياسي وتشارك فيه وفي صناعة القرار بطريقة غير مباشرة، كون القانون لا يجيز لأي مؤسسة مجتمع مدني «التدخل في العمل السياسي».

مجلس الأمة الموالي

كان للمجلس في تقاليد سابقة دور ملموس في الرقابة والتشريع والدفع بالعملية السياسية والديموقراطية. إلا أنه، وبعد قيام الثورات العربية، انقسم المجلس داخليا، خاصة بعد وصول الإسلاميين، ومنهم المتشددون والقبليون إليه، حيث تحولت المطالبات التي كانت تعزز من مكانة المواطن والمواطنة، إلى مطالبات يغلب عليها الطابع المذهبي والقبلي ونظام المحاصصات وتوزيع الغنائم. ويتم ذلك بواسطة الإفراط في عملية الاستجواب وتحويلها لأداة ترهيب للسلطة التنفيذية، لا كوسيلة للمساءلة وفق آليات شرَّعها الدستور، حتى باتت الرقابة تطغى على التشريع. وهو سبب أدى إلى حل مجلس الأمة أكثر من مرة، خاصة مع تركيز الاستجوابات الأخيرة على رئيس الوزراء. وتشكلت مع الأيام معارضة كانت تطالب بإصلاحات، كثير منها محق، إلا أن آليات المطالبة كانت خارجة عن العرف العام السياسي، وعن القانون، وخارقة للدستور، بل كان لأصوات من المعارضة خطاب مذهبي تكفيري حاد، كاد أن يشق وحدة النسيج الوطني. وقد استطاعت السلطة أن تلعب على هذه الوقائع، فأوجدت حالة من الرُهاب المتبادل في ذهن المواطنين، خاصة بين السنة والشيعة. وقد لجأ هؤلاء الاخيرون الى دعم المسار الحكومي خوفاً من الاطروحات المذهبية الحادة لدى بعض المعارضة. وفي ظل هذه الاجواء، تمَّ حل مجلس الأمة السابق، ولجأ الأمير إلى «مرسوم ضرورة» يعدل من نظام التصويت من أربعة أصوات إلى صوت واحد للمواطن، وهو ما أثار حفيظة المعارضة، فأعلنت مقاطعتها للانتخابات في كانون الاول/ ديسمبر ٢٠١٢، لعدم دستورية مرسوم الضرورة. ولجأت الى المحكمة الدستورية لبت دستورية المرسوم، وهو ما زال إلى الآن في دهاليز القضاء الدستوري. وتم انتخاب مجلس الأمة الحالي الذي تطلق عليه المعارضة «مجلس الصوت الواحد»، كونه انتخب وفق النظام الجديد. ولقد وقع هذا المجلس في فخ تغليب كفة التشريع على الرقابة، من خلال الاتفاق مع السلطة التنفيذية على تأخير الاستجوابات بحجة التشريع. ولكن يؤخذ عليه أن تشريعاته «تنفيعية» للحكومة والتجار. وكمثال، اقر منذ أيام قانون شراء جميع ديون المواطنين، وإعادة جدولتها بعد شطب الفوائد عنها، ما سيكلف الخزينة مبلغاً ما زال غير معروف، إلا أنه يتراوح بين ٣,٥ مليار دولار و١٤ مليار دولار. وكانت الحكومة رفضت قانونا مماثلا في السابق، بالرغم من اقراره بأغلبية ساحقة في برلمان ٢٠١٠. وكان حجم مديونية الكويتيين الخاصة وقتها يبلغ ٢١,٦ مليار دولار، اضافة الى ٥,٢ مليار دولار فوائد مصرفية. ولكن التغيير في موقف الحكومة تفسره الخلافات السياسية الحادة مع المعارضة التي قاطعت الانتخابات الاخيرة. ويفسره أيضا وصول مجلس أمة موال للحكومة، قال رئيسه بصراحة مدهشة خلال النقاش حول موضوع القروض إن «المسألة ليست تقنية وحسب بل سياسية ايضا. فلنعط شيئا للناس... هناك اشخاص لا يريدون ان يستمر هذا البرلمان». وتملك الكويت اصولاً تقدر بـ٤٠٠ مليار دولار، معظمها مستثمر في الخارج، تراكمت من فوائض ارتفاع أسعار الخام على مدى السنوات الماضية. ومن المشاريع التي مررت في البرلمان لأن الحكومة تريدها، «الاتفاقية الأمنية» التي أقرها الاجتماع الأخير لمجلس التعاون الخليجي.

المعارضة الكويتية

خلافات بيت الحكم غالبا ما انعكست على إيقاع الساحة السياسية سواء على مستوى مجلس الأمة وتحالفاته الداخلية أم على مستوى المعارضة وتمايزاتها وآليات حراكها.

وقد سقطت المعارضة في فخين: الأول هو الخطاب المذهبي، رغم انها تطالب بإمارة دستورية وتعزيز الديموقراطية. إلا أن خطابات بعض قياداتها إقصائية وهجومية مذهبيا. والثاني هو النزول للشارع في المناطق السكنية، وهو ما اعتبر مخالفة للأصول المتعارف عليها، ما جعل بعض أقطاب المعارضة أنفسهم يمتنعون عن الاستجابة للمسيرات.

تعيش الكويت اليوم تجاذبات عديدة. وهناك في الكواليس محاولات تسوية بين سلطة الحكم وأبرز أقطاب المعارضة، خاصة أولئك المتهمين باقتحام مجلس الأمة. وهذه التسوية يقودها نائب ليبرالي سابق ومعارض حالي، وقد تتبلور معالمها في الأيام القادمة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه يتعلق بمعرفة ما إذا كانت التسويات السياسية هي الطريق لإخراج الكويت من عقلية المشيخة والذهاب بها واقعا نحو إمارة دستورية؟

إيمان شمس الدين
كاتبة وباحثة من الكويت

حلم ..

نبيل عناني/فلسطين

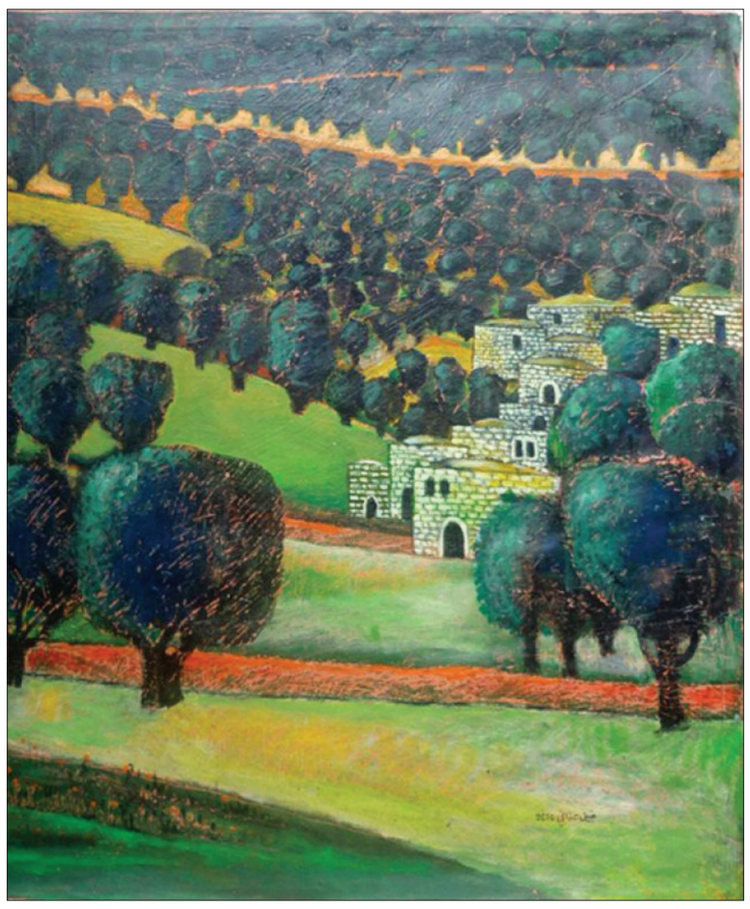

بمناسبة «يوم الأرض»: زيتون فلسطين... مقدَّس

arabi.assafir.com

يستقبل الموقع مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم.
ـ البحرين: مشهد أم شابة لا يردها الرصاص الى منزلها. تأويلاته ودلالاته. «هاذي بلدنا» لمنى عباس خلف
ـ «اليوم العالمي للمياه» والتحديات الضخمة في هذا الشأن ـ للخبير السوداني سلمان محمد سلمان
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

«يوم الارض» في يوم زفافهم، قرر العرسان «العودة» الى قراهم الأصلية (تصوير محمد بدارنه ـ خاص «السفير العربي»)

السميرية — البصة — الطنطورة — وادي الصليب

مدونات

مدونات هذا العدد كلها فلسطينية، تحيةً منا الى «يوم الأرض» في ٣٠ آذار/مارس

أنفاق رفح، حبيبة قلبي

«...ليست الأنفاق «شريان حياة» وممراً لمستلزمات الحياة اليوميّة فحسب. إنّها نوعٌ من القفز فوق الحاجز، استعمال أمثل للعقل البشري، نموذج تجب دراسته في ميكانيزم الاختراق. الأنفاق، في حسابات المناكفة، بصقة في وجه من ظنّوا أنهم حبكوها جيّداً، إسرائيليين وعرباً وأميريكان. في حسابات الجغرافيا هي كسبٌ للناس على طرفي الحدود، واسألوا بدو سيناء وأهلها الذين لا قيمة ولا معنى لهم في حسابات القاهرة ونخبتها التي تنظّر عن سيناء وما زارتها يوماً. عندما حفر الفلسطينيّون في غزّة الأنفاق بعدما أغلق العالم أبوابه في وجههم، لم يبالوا لا بسيادة مصريّة ولا بقوانين دوليّة. وكيف لهم أن يبالوا؟ هذا الكلام الكبير يصغُر أمام رغبة إنسان فرد واحد في أن يرتاح. يشبه الأمر أنّ تفك حزامك، والزرّ الأول من البنطال، بعد وجبة غداء دسمة. هذه الرّاحة بعد ضيق، هذا الانكشاح الانسانيّ بامتياز، لا مردّ له ولا هويّة...من لم يفهم الأنفاق ويستشعر حلاوتها وهي التي مكّنت عشّاقًا من اللقاء وعائلات من أن يلتم شملها، فلا خيار أمامه إلا أن يراجع إنسانيّته...

لن تنتهي الأنفاق إلا بانتهاء الوضع المشوّه الذي استدعى حفرها، وفتح المعبر للبضائع. لا يشمل ذلك المعطى أنفاق تهريب السلاح التي إن أرادها البعض مغلقة، كان لزماً عليه توفير السلاح شرعياً. شيطنة الفلسطينيين في مصر هي نصيبنا من بؤس الدولة المصريّة، وسياسات المؤامرة والعدو المترصّد التي تجري فيها مجرى النّفس...»

من مدونة سيرة لاجئ
http://m282.wordpress.com/

مبررات عمليات قتل مقبلة

«منذ عدة شهور ووسائل الإعلام الإسرائيلية تروج لمصطلح جديد وهو «الإرهاب الشعبي الفلسطيني». هو تعريف جديد لعمليات المقاومة الشعبية الفلسطينية المرتبطة بإلقاء الحجارة على سيارات المستوطنين في الضفة الغربية. والترويج يستخدم بشكل خاص من قبل المواقع الإعلامية الإسرائيلية المقربة من المستوطنين مثل موقع «القناة السابعة الإسرائيلية»، وموقع «الصوت اليهودي». وفي اليومين الأخرين اشتد استعمال هذا المصطلح من منطلق التحريض على الفلسطينيين في الضفة الغربية. وجاء هذا بشكل خاص بعد إدعاء الاحتلال الإسرائيلي أن مستوطِنة وأطفالها الثلاثة جرحوا في حادث طريق، ناتج عن تعرض مركبتهم لإلقاء حجارة بالقرب من مستوطنة «أرئيل». كما كتبت صحيفة «يديعوت أحرنوت» أن حادثاً آخر كاد أن يحصل على شارع ٤٤٣ الرابط بين منطقة «موديعي» ومدينة القدس.

اتساع الحديث الإسرائيلي، عن خطورة إلقاء الحجارة على المستوطنين ما هو إلا تبرير مسبق لارتكاب جيش الاحتلال لجرائم قتل جديدة في الضفة الغربية ضد الشبان الفلسطينيين.

من مدونة «بحرك يافا»
http://goo.gl/JKUK0

عن الوطن والخارطة

«حينما تدفعك أعمال السلطة للكتابة والتدوين، لا تدري ما شكل النص الذي سننتهي إليه. حينما يصبح التاريخ مقيتاً لدرجة تكرار نفس أعمال القمع والتدمير المنهجة للذاكرة الوطنية الشعبية الفلسطينية، لا تدري بأي سجن ستموت، وبأي مقبرة سوف تسجى عظامك. لا حاجة لنا لتكرار القصص التي سمعناها من الآباء والأجداد للشباب عن عنف ووحشية الاحتلال الصهيوني بتهمة حمل علم وخارطة فلسطين. اليوم ما تسمى السلطة الفلسطينية... قامت بإزالة خارطة فلسطين عن دوار «الكركفة» في بيت لحم، تحت مسميات وحجج واهية لا يمكن تفسيرها إلا أنها خطة لإزالة ما تبقى من فلسطين من قلوب وعقول الأجيال الحالية... لا أدري ما الذي يخيف تلك الشلة من مجسم خارطة فلسطين التي لا تحتوي على تقسيمات أوسلو ومدريد... ما الذي يخيفهم من خارطة لوطن لا بد وأن يتحرر يوماً ما، شئنا أم أبينا. أصبحنا ذاك الشعب الذي يضرب ويعتقل من أجل العلم والخارطة. لم أدرك بعد كم هي مخيفة فكرة الخارطة الكاملة لمن باعوا الجمل بما حمل، وبرواية أخرى لمن باعوا الوطن بمواطنيه مقابل حفنة من ملايين الدولارات... اليوم يستعرضون قواهم بإزالة الخارطة، ربما غداً سنراهم يستعرضون قواهم وعضلاتهم بإزالة مخيمات كاملة عن بكرة أبيها...

من مدونة يوميات بني آدم
http://stolen-kharbshat.blogspot.com/